ميثاق الرابطة

لسان رابطة علماء المغرب

أسبوعية جامعة تصدر كل جمعة - الثمن : 3 دراهم

السنة 37 - العدد 1059 - الجمعة 20 محرم 1425 هـ - الموافق 12 مارس 2004

أحسنكم إيمانا أحسنكم أخلاقا

التعاون البناء دعامة من دعائم الإسلام

لقد رغب ديننا الإسلامي في إعانة المحتاج ومواساة المنكوب وإغاثة الضعيف (فالله في عون العبد مادام العبد في عون أخيه) فالذي يقدم المحتاج على نفسه ويوثره عليها بغية التخفيف عليه مما ابتلي به من مفاجآت الزمن وشدائده وكوارثه ومحنه امتدحه الله على إيثاره بقوله جل وعلا: (ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة).

فالعناية بالفقير المحتاج رغب فيها الإسلام، كما أن بذل المال لوجه الله للمستحق له فيه من الأجر الشيء الكثير زيادة على ما ينطوي عليه من زرع المحبة بين النفوس وتصفيتها من الأحقاد والضغائن، قال صفوان بن أمية: (لقد أعطاني رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أعطاني وإنه لمن أبغض الناس إلي فما برح يعطيني حتى إنه لأحب الناس إلي، إني لأشهد ما طابت بهذا إلا نفس نبي).

وفي العناية بذوي الحاجة من الأجر ما لا يوصف، فالرسول عليه الصلاة والسلام كان أجود الناس، وأحنهم على خلق الله وأكثرهم عناية بالفرد والجماعة، يتجلى ذلك في أقواله عليه الصلاة والسلام وأعماله وتقريراته، ومن هذه العناصر الثلاثة تتلخص سنته التي هي الأصل الثاني بعد كتاب الله جل وعلا، جاء في البخاري أنه صلى الله عليه وسلم أتي بمال من البحرين فقال: (أنثروه - وكان أكثر مال أتي به - فخرج صلى الله عليه وسلم إلى المسجد ولم يلتفت إليه فلما قضى الصلاة جاء فجلس إليه فما كان يرى أحدا إلا أعطاه وما قام عليه الصلاة والسلام وثم منها درهم، وكان صلى الله عليه وسلم لا يسأل شيء فيمنعه)، إنه الجود في أسمى معانيه، وإنها الأخلاق في أروع أساليبها.

وكان صلى الله عليه وسلم من شدة رحمته وتواضعه وحسن خلاله يعامل صحابته وغيرهم من الناس المعاملة الإنسانية الرحمانية، فقد روي أنه عليه الصلاة والسلام كان في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة فقال رجل: يا رسول الله علي ذبحها، وقال آخر: علي سلخها، وقال آخر: علي طبخها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: وعلي جمع الحطب، فقالوا: يا رسول الله نكفيك العمل، فقال: علمت أنكم تكفونني ولكن أكره أن أتميز عليكم وإن الله سبحانه وتعالى يكره من عبده أن يراه متميزا بين أصحابه... فمن هذا السلوك النبوي استفاد العلماء الملتزمون، والعظماء الواعون وكل مسؤول يقدر الواجب عليه حول ما كلف به في هذه الحياة كيفما كان حجم مسؤوليته...

فكتاب الله ينادي على الميسورين بأن لا يبخلوا على محتاج داهمه القدر بالاحتياج قال تعالى: (وآتوهم من مال الله الذي آتاكم) سورة النور، الآية:33 ، ويحذر الإنسان من الشح والبخل ويبين أن من سلمه الله ونجاه من رذيلة الشح فقد أكرمه بالفلاح قال تعالى: "ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون" التغابن12.

إن ديننا الحنيف يوجهنا لأعمال البر والخير والتعاون: قال تعالى: "وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان" فنجاحنا يكمن في تضامننا وتآزرنا وتعاون بعضنا مع البعض بالنفس والمال وأخذ القوي منا بيد الضعيف، والغني بيد المحتاج، كيفما كان جنسه ولونه وميوله فالمهم أن نساعد المحتاج ونغيث الملهوف: (في كل كبد رطبة أجر). ولا يمكن لأي منا بنص الكتاب أن ينال البر ويوصف به ما لم يبادر بالإنفاق على الغير من ماله الذي يحب قال تعالى: "لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون".

فلنبادر جميعا إلى مساعدة إخواننا أبناء إقليم الحسيمة الأماجد الذين أصيبوا بنكبة زلزال عنيف دمر المنازل وأودى بالأرواح وشرد السكان وخلف الكثير من المتضررين والمنكوبين، نرجو الله لأولئك الضحايا الرحمة والغفران ولذويهم جميل الصبر والسلوان، وللمصابين الشفاء العاجل.

فالواجب علينا تجاه إخواننا أن لا نبخل عليهم بأي شيء في وسعنا وطاقتنا ونتألم لآلامهم فيصدق فينا وعلينا قول نبينا(ص) فيما رواه البخاري: (ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى)، ولقد لاحظ العالم أجمع - ولله الحمد والمنة - أن هذه الأمة المغربية ملكا وحكومة وشعبا كانت متضامنة قولا وعملا فأبرزت لذوينا وأهلنا وإخواننا وعوض أنفسنا أبناء الحسيمة أن ما يضرهم يضرنا وما يسوؤهم يسوؤنا، وذلك ما عبر عنه أمير المومنين رمز الأمة وقلبها النابض من عطف وحنان ورعاية ملكية سامية مثالية من نوعها نادرة في عمق حبها لهذا الشعب الذي يبادل العرش العلوي المجيد والجالس عليه أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس حبا بحب ووفاء بوفاء وإخلاصا بإخلاص أعزه الله ونصره.

كما أن ما عبر عنه قادة العالم وشعوبه لأمير المؤمنين من تضامن ومواساة في نكبة زلزال الحسيمة سيبقى خالدا بذاكرة الشعب المغربي بقيادة العرش العلوي المجيد ولن ينساه لهم أبدا.

أبعد الله عن الأمة المغربية والإنسانية عامة كل مكروه إنه سميع مجيب.

بقلم الشيخ ماء العينين لارباس

النائب الأول للأمين العام لرابطة علماء المغرب

العقل واستراتيجيته التطويرية

المنزلق الخطير للعالم الغربي

هيمنة عقائد السنوسي على سلك التعليم بالغرب الإسلامي

رد التشريد في مسألة التقليد

العدل والعدالة في التوجيه الديني

العدل القضائي في الإسلام

نتابع مع القراء الكرام لجريدة ميثاق الرابطة المسيرة النورانية للعدل في التوجيه الديني، وقد رأينا في الأعداد الماضية مجموعة من النصوص القرءانية والنبوية في موضوع العدل ووجوب التحري في شأنه حتى لانخرج عن طريقه، ونقع في الطريق الآخر طريق الظلم، طريق الجور، طريق الفساد، طريق الخروج عن الدين في نهاية المطاف عندما تتوفر النية السيئة، والمصالح الشخصية، إن المجتمع الإسلامي ككل المجتمعات الإنسانية ولو أن أفراده متمسكون بدينهم وبعقيدتهم وبسلوكهم ولايقبلون الخروج عن العدل إلى الظلم وعن الحق إلى الباطل، وعن الصواب إلى الخطأ فإن معرفة حدود العدل وحدود الحقوق تغيب أحيانا عن الإنسان المسلم فيتجاوزها ويقع في المحظور، ويخرج عن منطقة العدل إلى دائرة الظلم.

في الأعداد الماضية من هذه السلسلة رأينا بعض النصوص الدينية التي تفرض علينا أن يكون العدل هو الهدف الذي نسعى إليه في كل تصرفاتنا، نعدل مع الله في عبادته وحده "واعبدوا الله ولاتشركوا به شيئا" ولو أنه غير محتاج لعدلنا معه فهو غني عنا، نعدل مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإيمان برسالته وبما يبلغه عن الله، نعدل عند الحكم بين الناس، وهنا نصل إلى القاعدة الصلبة في هذا البناء وهي تقوم على آية قرآنية هي الثامنة والخمسون من سورة النساء في قوله تعالى: "إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا بالعدل"

الأستاذ أحمد أفزاز

النائب الثاني للأمين العام - رئيس غرفة بالمجلس الأعلى شرقي

تتمة في الصفحة 2

تحتوي هذه الصحيفة على آيات قرآنية وأحاديث نبوية، المرجو صيانتها عن أي امتهان.

التجيبي في طريقه إلى ميناء عيذاب

■ إعداد الأستاذ: عبد القادر العافية

■ غادر التجيبي مدينة قوص في اليوم الخامس من رجب سنة 696هـ، ومنها إلى قرية العباسة، ومن هذه البلدة استوفى أهل القافلة حوائجهم مما يحتاجون إليه من المواد الغذائية، ثم نزلوا بعد ذلك بقرية (مسيد النبي) وسأل عن سبب تسميتها بذلك، فأخبر أن أكثر غلات هذا البلد، أو جملتها وقف على المجاورين، والساكنين بالحرم النبوي، ثم نزلوا بمكان يقال له (الدير) به بئر عظيمة يستقى منها الناس، وماؤها طيب عذب وقيل له أن ماءها يستمد من ماء النيل، يرد عليها ما لا يحصى من الإبل، ويسكن بالمكان قوم من نصارى القبط به بعض كنائسهم يسكن بها بعض الرهبان الزهاد، ولذا سمي المكان بالدير، التجيبي يقول: وحمدنا الله على ما أولانا من دين الإسلام، وهدانا إليه، وهو تعالى يختم لنا بالحسنى بمنه وكرمه، ورأينا من تصاويرهم مالا يكاد ينحصر، وأكثر ما فيما يذكرون صور قوم من عبادهم، ولم يزل ذلك دأبهم من قديم الزمان. إذا مات الصالح منهم صوروا صورته.

ومن خلال رحلة التجيبي وحديثه عن المعابد والكنائس والآثار... ندرك مبلغ التسامح الذي لقيه النصارى وغيرهم من أمراء المسلمين وحكامهم وعلمائهم، فالكنائس والبيع والمعابد والآثار تظل كما هي، دون الاعتداء عليها لا من السلطة ولا من العامة، وذلك بفضل توجيهات علماء المسلمين، الذين يؤكدون على وجوب احترام الأديان، وعلى جوب احترام العهود... فبالرغم من وجود هذه المعابد في الأماكن البعيدة فأهلها آمنون مطمئنون، يمارسون طقوسهم وعبادتهم، ويقومون بتصوير من شاءوا من عبادهم وصلحائهم لايعترض عليهم أحد.

ويروي التجيبي بهذه المناسبة حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها فيقول: "روينا في الصحيح من مسند أم المؤمنين عائشة. ض. أنها قالت: إن أم حبيبة، وأم سلمة ذكرتا كنيسة رأينها بالحبشة فيها تصاوير لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال رسول الله (ﷺ): "إن أولئك إذا كان منهم الرجل الصالح فمات بنوا على قبره مسجدا، وصوروا فيها تلك الصور، أولئك شرار الخلق عند الله تعالى يوم القيامة" والحديث في صحيح البخاري ومسلم، رواد الإمام مسلم في كتاب المساجد ومواضع الصلاة، وذكرد البخاري: في الصلاة، ومناقب الأنصار.

ثم يقول التجيبي: وعاينا في سقف هذا الدير جملة حبال معلقة منه فسئلوا عنها ما المراد بها؟ فزعموا أنهم يربطون بها شعور عبادهم المصلين خيفة أن يغلبهم النوم، ولما هممنا بالخروج من هذا الدير، قدم بين أيدينا بعض رهبانهم طبقا فيه كسيرات من خبز الشعير، ووريقات من هندبا . الهندبا بقل زراعي حولي من الفصيلة المركبة يطبخ ورقه أو يجعل . سلطة . ويسير خل، وقليل ملح، وزعم . أي الراهب الذي قدم لهم الطام . أن ذلك هو عيش الساكنين بهذا الدير، وأخبرنا أن السلطان الأجل ملك مصر والشام، أدام الله تعالى سعادته، وأجرى على الحميد السعيد عادته، اشترط على سكان الديور أن يضيفوا من مربهم من المسلمين بما استطاعوا. فبسبب ذلك قدم لنا ماذكر، وبلغنا أن أمير المؤمنين أبا حفص عمر بن الخطاب، رضي الله عنه . لما صالح نصارى الشام شرط عليهم شروطا منها: ألا يمنعوا أحدا من المسلمين أن ينزل في كنائسهم في ليل ولانهار، وأن يوسعوا أبوابها للمارة وابن السبيل، وأن ينزلوا من مر بهم من المسلمين ثلاث ليال، ويطعموهم...

وهكذا يذكرنا التجيبي بالتعامل الإنساني الذي كان سائدا بين المسلمين والنصارى، ويذكرنا بالشروط العمرية وغيرها التي كان الهدف منها استمرار الاتصال بين المسلمين وغيرهم من أهل الكتاب، فالله تعالى قد أحل أكل طعامهم والتعامل معهم، وأباح التزوج من نسائهم، فالعلاقات الودية يجب أن تستمر، وأن يحافظ عليها من الجانبين، بناء على التوجيه الإلهي: "لاينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم في الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم، وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين"(الممتحنة/الآية:8).

قال التجيبي: (ومن غريب مايحكى في دخول البيع ما قرأت في ترجمة عمر بن الليثي من ذيل أبي سعد عبد الكريم السمعاني المروزي الفقيه الشافعي الواعظ الخطيب رحمه الله، لتاريخ بغداد . للحافظ أبي بكر أحمد بن على البغدادي (ت:463هـ) كتبه على طريقة المحدثين، ثم ذيله الإمام السمعاني صاحب الأنساب: (ت:562هـ)بخمسة عشر مجلدا، وأصل الحافظ البغدادي في أربعة عشر مجلدا فيكون المجموع: 29 مجلدا، ومن ذيل السمعاني يذكر التجيبي غريبته.

وتاريخ بغداد ذيله آخرون بعد السمعاني، وبذلك أصبح يشكل مكتبة قائمة الذات.

ونعود لقول التجيبي: "قال . أي السمعاني. أن بعض المشيخة قال: كنا مع شيخ للصوفية من كبارهم، ونحن نسير معه إذ رأينا بيعة وفيها النصارى، فدخلنا البيعة لننظر ما فيها، ثم خرجنا، فإذا بالشيخ واقف متكيء على العصا، وقال لهم: هل اعتبرتم بشيء، أو انتفعوا منكم بشيء؟ فقلنا: لا، فانصرف الشيخ إلى البيعة فرأى صورة عيسى . عليه السلام . مصورة على الحائط، فقال الشيخ للصورة: "أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلاهين من دون الله فقالت الصورة:لا! فتعجب منه النصارى، وأسلم على يدي الشيخ سبعة منهم، وخرج من البيعة والنصارى معه مسلمين، فقال الشيخ إذا دخلتم البيعة فادخلوها هكذا، وإلا فلا تدخلوها، والله تعالى أعلم، فأقمنا بالموضع المذكور ثلاثة أيام بسبب تفقد الجمالين من العربان لبيوتهم..."

التجيبي رحمه الله ينقل للقارئ كرامة الشيخ الصوفي الذي أجابته صورة عيسى عليه السلام، بأنه لم يقل للناس إتخذوني وأمي الاهين من دون الله، وإسلام سبعة من النصارى بعد مشاهدتهم هذه الكرامة العجيبة، ومعناه أن المسلم داعية إلى الخير في كل زمان ومكان، وأنه عندما يجد الفرصة لانقاذ الناس من الكفر والضلال فعليه أن يؤدي رسالته، لأن الإسلام هو الرسالة السماوية الخاتمة، فعلى المسلم أن يبشر بها، ويدعو إليها، كل حسب علمه ومعرفته، وطاقته الروحية" دون عنف ولا إكراه، والمسلمون جميعا يؤمنون جاز مين بأن رسول الله عيسى عليه السلم لم يقل للناس: اتخذوني وأمي إلاهين من دون الله، فالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة من مهمة الدعاة المخلصين...

هذا ولقد سبق أن ذكرنا في حلقة سابقة أن التجيبي كان متفائلا، ينظر إلى الدنيا نظرة فيها كثير من حسن الظن بالناس، لكن هذا لا يمنعه من تسجيل الواقع إذا كان مرا ومن ذلك قوله، والقافلة في طريقها إلى ميناء عيذاب: "ونزلنا موضعا قفرا كثير الأجبة، وليس به ماء، وكاد جميع من كان في قافلتنا أن يموت بهذا الموضع عطشا، وعاينا من ذلك ما أفزعنا، وكاد يذهب بأرواحنا، وسبب ذلك أن الجمالين ركبوا جمالهم، وأخذوا قرب أهل القافلة بأجمعهم، وحملوها صحبتهم، فجاء وقت الظهر واشتد الحر، فواسى أهل القافلة بعضهم بعضا، ومن كان بقي له يسير ماء تصرف فيه، وسقى من يقرب منه ثقة بقرب وصول الجمالين، فدخل وقت العصر ولم يصل منهم أحد، فاشتد عطش الناس، وكثر خوفهم، وأشرفوا على الهلاك، وتمادى الحال كذلك إلى قبيل ظهر اليوم الثاني، وظننا أن الجمالين لايرجعون البتة، واشتد بكاء النساء والصبيان، وعظم الخوف إلى أن فرج الله ذلك، ووصل بعض الجمالين قبيل الظهر وتلاحق الباقون في تمام النهار، وذكروا أنهم قصدوا إلى ماء من مياه المطر في جبل كانوا يعرفونه فيه، فلم يجدوا في الجبل شيئا، فانطلوا إلى ماء آخر، وملأوا القرب منه، ولما فتحنا أفواه القرب وجدنا ماء ساخنا، كأنه ماء الحمامات، وقد تغير أو صافه كلها: الطعم، واللون، والرائحة، لكنا سررنا به سرورا شديدا على علاته، لما كان نخافه من ذهابهم وعدم رجوعهم بسبب قلة دينهم، وماشاهدناه من كثرة خروجهم عن أمور الشريعة الإسلامية، وكانوا من قبائل متفرقة"

لاشك أن قافلة الحجاج عانت من هذا العطش الشديد وكان بها النساء والصبيان وربما المرضى، عناء أليما ومرا...

ومعاناة الناس في الرحلة إلى الحج، وبخاصة أهل المغرب كانت تبدأ منذ مغادرتهم لوطنهم لبعد المسافة، وكثرة الصحاري المخيفة، ومشكل الماء والتزود به، والخوف من فقدانه، قل من لم يتحدث عنه من الذين كتبوا عن رحلاتهم الحجازية.

وفي الحلقة المقبلة بحول الله نواصل مع التجيبي رحلته.

(تتمة ص:1)

والحكم بين الناس من مهام ولي الأمر، يباشره شخصيا أو ينسب عنه من يمارسه في الأمور الشخصية وفي الأمور الاجتماعية وفي النوازل العائلية، وفي تنظيم علاقات الناس بعضهم ببعض، ويكون الحكم الذي يصدره ولي الأمر نافذا ناجزا لايجوز الخروج عليه لأي كان، وهنا نجد مجموعة من الآيات القرآنية تفرض هذا التصرف وهذا الإجراء.

1. يقول الله تعالى في سورة الأحزاب الآية 36 :"وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ومن يعص الله ورسوله فقد ضل ضلالا مبينا".

2. ويقول القرآن الكريم في سورة النساء الآية:64 لتثبيت نفس التوجه الإسلامي "فلا وربك لايومنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم، ثم لايجدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما".

3. ويقول عز وجل في نفس السورة الآية:59 "يأيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، فإن تنازعتم في شيء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تومنون بالله واليوم الآخر، ذلك خير وأحسن تاويلا".

ونقف قليلا مع هذه الآيات الثلاث التي وضعناها قواعد للعدل في تسيير أمور المسلمين وغير المسلمين لنرى أسباب نزولها وننطلق معها في أنوارها وإشراقاتها لنشر العدل بين الناس.

روي عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال:

خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش لزيد ابن حارثة رضي الله عنه وكان يشتغل مع الرسول بعدما اختار البقاء في بيت النبوة عقب تحريره، وإعطائه حق الاختيار للبقاء في بيت الرسول صلى الله عليه وسلم أو الذهاب مع أبيه الذي جاء يطلبه، فاختار جوار الرسول عليه الصلاة والسلام وما كان له موقع في الأرض أفضل منه، وزينب بنت .بحش كانت امرأة لها مكانتها في الصورة الاجتماعية وتعتبر نفسها خيرا منه، وهو عبد تحرر،فرفضت خطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لها لزيد للأسباب التي ذكرنا، فأنزل الله القرآن الكريم وحيا على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم: "وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا..." إلى آخر الآية.

فالرسول صلى الله عليه وسلم قضى في الموضوع وأمر بأن تتزوج زينب بخادمه زيد، ولم يبق إلا التنفيذ، وزينب لاتملك مخالفة قضاء الله ورسوله.

وروى ابن كثير واقعة أخرى طبقت عليها نفس الآية ويقال بأن الآية نزلت بسببها، وهي أن العبيدة أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط رضي الله عنها، وهي أول المهاجرات من النساء بعد صلح الحديبية ورجوع الرسول صلى الله عليه وسلم إلى المدينة، فوضعت نفسها رهن إشارة رسول الله صلى الله عليه وسلم يتصرف في زواجها، وكان زيد ابن حارثة قد طلق زينب بنت جحش فخطبها الرسول عليه الصلاة والسلام لزيد، فرفضت في البداية هي وأخوها، وقالا إننا أردنا أن يتزوج بأم كلثوم رسول الله فزوجها عبده، وكان الحكم ماورد في الآية الكريمة "وماكان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم"

وتروي كتب التفسير حادثة أخرى مرتبطة بالآية وتتعلق بخطبة رسول الله صلى الله عليه وسلم لامرأة لفائدة رجل، فرفضت أمها أن تزوجها ممن اختاره الرسول لها زوجا، وكانت البنت تسمع الخبر، فرفعت صوتها تنتقد والدتها، وتأمرها بالخضوع لتوجيه رسول الله صلى الله عليه وسلم، وتقرأ عليها نفس الآية، وكانت هذه المرأة من أكرم نساء المدينة.

هذه صور وأحداث من التوجيه النبوي العادل في الحياة العامة للمسلمين، ونتابع الملفات في الأعداد القادمة إن شاء الله.

الوثاق

رد التشريد في مسألة التقليد

للعلامة احمد بن مبارك السجلماسي رحمه الله

■ الأستاذ: إدريس كـــرم

■ اعلم أن مسألة المقلد لا يتضح أمرها إلا بخمسة.

أمور أحدها أن تعلم أن التفكير شرعي لا عقلي، قال الغزالي في الاقتصاد وكذا في كتاب التفرقة وغيرهما، بدليل أن فيه حكمين أحدهما في الدنيا، وهو الحكم بإباحة دمه وماله وولده، ثانيهما في الآخرة وهو الخلود في النار،

وكل من هذين الحكمين لا يتلقى إلا من الشرع العزيز هـ وقاله أيضا الأبياري وابن الشاط وغيرهم من الفحول، فبطل قول المعتزلة أنه عقلي، فحكمه العقل ونسبوا إليه سائر الأحكام،

■■■

ثانيهما أن تعلم بعد ثبوت التكفير ما ضابط ما يكفر به في الشرع، وذلك ثلاثة أمور، ما كان نفس اعتقاده كفر، كاعتقادك العجز أو الجهل أو العديم أو الشريك في حقه تعالى، أو غير ذلك، مما ينافي الهيللة، وما فيه تكذيب للنبي(ص)، وما اجتمعت الأمة على أنه لا يصدر إلا من كافر، كالسجود للصنم تعظيما، والقول بقدم العالم، والتردد للكنائس تعظيما ولبس الزنار ونحو ذلك، نص على ذلك الغزالي في المستصفى والأبياري في كتاب البرهانين والباقلاني في كتاب إكفار المتأولين، وعياض والقرافي وعز الدين بن عبد السلام، وابن عرفة وغيرهم،

■■■

ثالثها أن تعلم بعد ثبوت ذلك أن اعتقاد المقلد ليس واحدا من هذه الثلاثة لأنه صحيح مطابق للواقع، فلم يكفره الشرع، ولا يصح تكفيره إلا على قول المعتزلة أن التكفير عقلي فمن كفره فقد مر على مذهبه، حتى قال أبو جعفر السجستاني: تكفير المقلد بقية في مذهب أهل السنة من عقيدة المعتزلة نقله عنه الوليد الباجي، والطرطوشي، وهو صحيح، فقد نص أبو بكر الباقلاني وأبو بكر بن فورك في كتابه الذي جمع فيه مقالات أبي الحسن الاشعري رضي الله عنه، على أن للأشعري رضي الله عنه مر في تفسير الإيمان على مذهب العالمي من المعتزلة القائل بأن الإيمان خصلة واحدة هي المعرفة بالله وأن الجهل بالله هو الكفر به، واختار هذا القول مع أن الإيمان الشرعي خصال متعددة كما شرحه النبي(ﷺ) عن سيدنا جبريل عليه السلام في الحديث المعروف الذي قال في آخره ذاك جبريل جاء يعلمكم دينكم والله أعلم.

■■■

وليس المقلد أيضا عاصيا بترك النظر لأن أدلة وجوبه نحو قوله: "قل انظروا" الآية، أو لم ينظروا أو لم يسيروا وغير ذلك كلها في الكفره لا فيمن اعتقد الحق من المومنين، نص عليه الحافظ ابن حجر والقرطبي والقاضي عياض وغيرهم، قالوا لأن الأخبار تواترت تواترا معنويا على أنه(ﷺ) لم يزد على أن دعا الخلق إلى الشهادتين وعبادة الله عز وجل، وقط ما دعا أحدا ممن آمن إلى نظر واستدلال،

■■■

رابعها: هل علم الكلام رافع للتقليد أو ليس برافع؟ والجواب أنه لا يرفعه إلا لو كانت أدلته تنتهي إلى المشاهدة أو الضرورة، وحيث كان كثير منا يرجع إلى قواعد غير محسوسة ولا ضرورية، مثل أن القبول نفسي أو ليس بنفسي وأن السكون وجودي أو عدمي، وهل بينه الحركة واسطة أم لا؟ وأن الغرض يبقى زمانين أولا؟ وأن الحال لا موجودة ولا معدومة، وأن الوجود عين الموجود أو زائد عليه وأن الوجود هو المصحح للرؤية، إلى غير ذلك من الأمور المذكورة في علم الكلام التي ينبني عليها كثير من أدلته، لزم قطعا أن فيه تقليدا، فإن الأمور المذكورة لابد أن تؤخذ مسلمة غير مبحوث فيها، وذلك عين التقليد، أشار إليه القرطبي شارح مسلم، ونقله الحافظ بن حجر، وأشار إليه الغزالي في كثير من كتبه، كالمستصفى والمنقذ من الضلال، والاقتصاد وغيرها،

■■■

فكل واحد من النظار يحرم التقليد ويوجبه وذلك تناقض لأنه إنما يأمر بالنظر على شرطه موافقته، وإن من خالفه هالك عنده، وهذا أمر بالتقليد وكل منهم إذا كفر المقلد فقد كفر نفسه وهو لا يشعر، لأنه من المقلدين،

■■■

وقال في المنقذ من الضلال ثم إني بدأت بعلم الكلام فحصلته وطالعت كتب المحققين منهم وصنفت فيه ما أردت أن أصنف فصادفته علما وافيا بمقصوده غير واف بمقصودي، فمقصوده حفظ عقيدة أهل السنة، التي ألقى الله تعالى إلى عباده على لسان نبيه محمد(ﷺ) كما نطق به القرآن والأخبار، فألقى الشيطان في وساوس المبتدعة أمورا مخالفة للسنة، فلهجوا لها وكادوا يشوشون عقيدة أهل الحق، فكشف المتكلمون من أهل السنة عن تلبيساتهم فنشأ علم الكلام وأهله فقاموا رضي الله تعالى عنهم بما يجب في ذلك، ولكنهم اعتمدوا في ذلك على مقدمات تسلموها من خصومهم اضطرهم إلى تسليمها اما التقليد أو إجماع الأمة والأخذ من القرآن والاخبار، وكان أكثر أخذهم في استخراج مناقضة الخصوم ومواخذتهم بلوازم مسلماتهم، وهذا قليل النفع في حق من لا يسلم سوى الضروريات، فلم يكن الكلام في حقي كافيا ولا له أي الذي أشكوه شافيا هـ.

■■■

خامسها انك إذا حققت عقائد التوحيد وجدتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام أحدها ما يوخذ من العقل، ثانيها ما يوخذ من النقل، ثالثها ما يصح فيه الأمران ولا يحتاج إلى قراءة علم الكلام إلا القسم الأول الذي هو مصححات الفعل من وجود وقدرة وإرادة وعلم وحياة، فهذه الصفات لا يمكن أخذها من الشرع، وإلا لزم عليه الدور، لأن الرسول(ﷺ) لا يكون قوله لازما حتى يثبت صدقه ولا يثبت صدقه حتى تثبت المعجزة، ولا تثبت المعجزة حتى يثبت الفعل لله عز وجل، ولا يثبت الفعل لله عز وجل حتى تثبت بمصححات الفعل فلو توقف ثبوتها على قول الرسول لزم الدور، وإذا صح إثبات هذه الصفات لله تعالى من طريق أخرى مخالفة لعلم الكلام لم يحتاج لعلم الكلام أصلا وهذه الطريقة هي البداهة والضرورة التي قضى بها الأثر على المؤثر ضرورية مركوزة حتى في فطرة الصبيان والبهائم فضلا عن غيرهم، وقد نص على ذلك القاضي أبو بكر الباقلاني كما نقله عنه ابن التلمساني في شرح المعالم ونص عليه الفخر ولا يحتاج إلى نص.

فقد سألنا عنه ولله الحمد صغار الصبيان وضعفة العقول كالعبيد والنسوان فجزموا به بداهة واستبشعوا السؤال عنه لبداهته، وما من عاقل ينظر إلى دار مبنية حسنة البناء حسنة الصنعة رقيقة النقش وثيقة المادة رشيقة الصورة إلا ويرحم بانيها، وشهد له بتمام الصنعة وحسن المعرفة ونفوذ القدرة ورسانة العلم، فكيف لو نظر إلى دار ذاته التي أخذ ترابها وعمدها وخشبها وجيرها وحبالها وكل ما يدخل فيها من نطفة ماء مهين، فإنه من النطفة مصور عظمه ولحمه ودمه وعروقه ورباطته وأوردته وشعره وبشره وسمعه وبصره وشمه وذوقه وفهمه ومنطقه، ولو أن الخلائق بأجمعهم اجتمعوا على أن يبنوا دارا تكون مادتها مأخوذة من مجرد الماء حتى يأخذوا من ذلك الماء ترابها وجيرها وحجرها وكل ما يدخل فيها لظهر عجزهم فسبحان الملك الخلاق.

■■■

فكيف لو نظر العاقل إلى عجائب التشريح التي في عينيه وأنفه ورأسه وظهره وفقراته وسوره وما احتوى عليه باطنه من عجائب التشريح لامتلأ قلبه إيمانا وابتهاجا وسرورا بمعرفة ربه عز وجل قال أبو حامد رضي الله عنه.

■■■

ولا يطالع التشريح وعجائب منافع الأعضاء مطالع إلا ويحصل له العلم الضروري بكمال تدبير الباني لبنية الحيوان لاسيما بنية الإنسان، وفي الحلية عن جعفر الصادق عن أبيه عن جده أن رسول الله(ﷺ) قال إن الله جعل لابن آدم الملوحة في العينين لأنهما شحمات، ولولا ذلك لذابتا، وجعل المرارة في الأذنين حجابا من الدواب، فإنه ما دخلت الرأس دابة إلا والتمست الوصول إلى الدماغ فإذا اذاقت المرارة التمست الخروج وجعل الحرارة في المنخرين يستنشق بها الريح لولا ذلك لانتن الدماغ، وجعل العذوبة في الشفتين يجد بهما طعم كل شيء ويسمع الناس حلاوة لفظه ومنطقه، ومثل ذلك يحصل للناظر إذا نظر في عجائب الأرض وما فيها فينظر إلى السماء واقعة على الأرض كأنها خيمة عظيمة لا نهاية لها فيها سراج منير يضيء بالنهار على أهل الخيمة وسرج كبيرة وصغيرة تضيء بالليل على أهلها، وتامل في قدر الخيمة وعظمها وعلو سمكها وسعة دائرتها ودخول جميع المخلوقات في جوفها هم ومواشيهم وجميع ما يحتاجون إليه من حرث وتجارة وسير وغير ذلك، فيعلم يقينا أن ذلك تقدير العزيز العليم المنفرد بالألوهية، سبحانه لا إله إلا هو قال تعالى: "أفي الله شك فاطر السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار" الآية.

ورحم الله القائل:

وفي كل شيء له آية
تدل على أنه الواحد

■■■

وإذا لم تتوقف المصححات للفعل على علم الكلام لحصول معرفتها بداهة من دلالة الأثر انتقل إلى معرفة صدق الرسول بالمعجزة وح يتلقى منه علم الأصول والفروع ويكون في ذلك آمنا مطمئنا لا تعرض له شبهة ولا يعتريه شيء فيتلقى منه (ﷺ) ما بني من العقائد كالقدم والبقاء والمخالفة والقيام بالنفس والوحدانية والسمع والبصر والكلام وحدوث العالم بأسره وغير ذلك من العقائد التي لا تتوقف عليها دلالة المعجزة وعلى هذا كانت القرون الفاضلة مثل القرن الأول والثاني والثالث إلى أن ظهرت البدع.

■■■

ولهذا كانت أدلتهم رضي الله عنهم قريبة المرام سهلة المآخذ، ولنذكر منها ما حضر في الحال وذلك عشر.

■■■

الأول يروى أن بعض الزنادقة أنكر الصانع عند جعفر الصادق رضوان اله عليه، هل ركبت البحر قال نعم هل رأيت أهواله قال نعم هاجت يوما رياح هائلة فكسرت السفن وغرقت الملاحين فتعلقت أنا ببعض ألواحها ثم ذهب عني ذلك اللوح فإذا أنا مرفوع في تلاطم الأمواج حتى دفعت إلى الساحل فقال جعفر هل كان اعتمادك قبل على السفينة والملح وعلى اللوح وحين ذهبت هذه الأشياء عنك هل كنت ترجو السلامة أم أسلمت نفسك للهلاك؟ قال بل رجوت السلامة قال ممن كنت ترجوها فسكت الرجل فقال جعفر إن الصانع هو الذي كنت ترجو ذلك الوقت وهو الذي أنجاك من الغرق، فأسلم الرجل على يديه.

■■■

الثاني: أن أبا حنيفة رحمه الله كان شديدا على الدهرية وكانوا ينتهزون الفرصة ليقتلوه فبينما هو قاعد في مسجد إذ هجم عليه جماعة بسيوف مسلولة وهموا بقتله فقال لهم أجيبوني عن مسألة ثم افعلوا ما شئتم فقالوا هات، فقال ما تقولون في رجل يقول إني رايت سفينة مشحونة بالأحمال مملوءة بالأثقال قد احتوشتها في لجة البحر أمواج متلاطمة ورياح مختلفة وهي من بينها تجري جريا سريعا ليس لها ملاح يجريها ولا دافع يدفعها هل يجوز ذلك في العقل؟ قالوا هذا شيء لا يقبله العقل فقال لهم أبو حنيفة يا سبحان الله إذا لم يجز في العقل سفينة تجري من غير ملاح فكيف يجوز قيام هذه الدنيا على اختلاف أحوالها وتغير أعمالها وسعة أطرافها وتباين أكنافها من غير صانع وحافظ، فبكوا جميعا وقالوا صدقت، وأغمدوا سيوفهم وتابوا.

■■■

الثالث: أن الدهرية سألوا الشافعي رضي الله تعالى عنه عن الدليل على الصانع فقال ورقة الفرصاد طعمها ولونها وريحها واحد وطبعها واحد عندكم فقالوا نعم قال فتأكلها دودة القز فيخرج منها الابريسم والنحل فيخرج منه العسل والشاة فيخرج منها البصر وتأكلها الضباء فينعقد في حواصلها المسك فمن الذي جعلها كذلك مع أن طبعها واحد، فاستحسنوا منه ذلك وآمنوا على يديه وهم سبعة عشر.

■■■

الرابع: سئل أحمد بن حنبل رضي الله تعالى عنه قال انظروا قلعة ملساء بيضاء لا فرجة فيها ظاهرها كالفضة المذابة وباطنها كالذهب الإبريز ثم انشقت وخرج منها حيوان سميع بصير فلابد من الفاعل الذي يدبرها وعني بالقلعة البيضة وبالحيوان الفرخ.

■■■

الخامس: سأل هارون الرشيد مالكا رضي الله تعالى عنه عن ذلك فاستدل باختلاف الأصوات وتردد النضمات وتباين اللغات.

■■■

السادس: سئل أعرابي عن الدليل على الصانع فقال البعرة تدل على البعير والروث على الحمير، وآثار الأقدام على المسير فسماء ذات أبراج وأرض ذات فجاج وبحار ذات أموج ألا تدل على اللطيف الخبير.

■■■

السابع: سئل طبيب بم عرفت ربك فقال النحلة بأحد طرفيها عسل وبالرف الآخر لسع وهو مقلوب عسل.

■■■

الثامن: سئل أبو نواس عنه فقال:

تأمل في رياض الأرض وانظر
إلى آثار ما صنع المليك
عيون من لجين جاريا
على أطرافها الذهب السبيك
على قضب الزبرد شاهدات
بأن الله ليس له شريك

■■■

التاسع: سئل طبيب بم عرفت ربك فقال باهليج يحفظ الحالب ويلين البطن.

■■■

العاشر: في كتاب ديانات العرب أن رسول اله (ﷺ) قال لعمرو ابن حصين رضي الله تعالى عنه كم لك من إله قال عشرة قال من ترجوه منهم للأمر العظيم إذا نزل بك؟ قال الله قال(ﷺ) مالك إلاه غيره..

انتهى ما قصدته مختصرا من كتاب رد التشريد في مسألة التقليد تأليف شيخنا العالم العلامة المحقق أبي العباس سيدي أحمد بن مبارك سقى الله ثراه وقدس سره، توفي بالطاعون ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الثانية سنة 1199.

■■■

كتبه عبد ربه تعالى محمد بن الحسن البناني لطف الله به من خطه رحمه الله بواسطة واحدة وكان الفراغ منه يوم الاربعاء التاسع عشر من ربيع النبوي عام 1147 قاله وكتبه عبد ربه تعالى احمد بن امبارك بن محمد بن علي السجلماسي ثم اللمطي لطف الله به.

إعداد الأستاذ: عبد الله بوغوتة

في ظلال الحديث: الحديث السادس والتسعون: تذكير النفس المؤمنة بحسن وسوء الخاتمة

نص الحديث:

عن سهل بن سعد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "...إن العبد ليعمل عمل أهل النار وإنه من أهل الجنة ويعمل عمل أهل الجنة وإنه من أهل النار وإنما الأعمال بالخواتيم" رواه البخاري.

الجزء الثالث

إن اللحظات التي ينقلب خلالها العبد إلى الشقاوة أو السعادة وأسباب ذلك، لجديرة بأن يتفكر المسلم في خطرها، وما منا من أحد إلا ويخاف أن يكون ممن يختم له بسوء الخاتمة.

بكى سفيان الثوري ليلة، فقيل له: أبكاؤك هذا على الذنوب فأخذ تبنة من الأرض وقال: الذنوب أهون من هذه، إنما أبكي خوف سوء الخاتمة، لأنه الأمر الذي يبكي عليه، ويصرف الاهتمام إليه، ولذلك قيل: "لاتكف دمعك حتى ترى في المعاد ربعك! وقيل: لاتكحل عينك بنوم، حتى ترى حالك بعد اليوم!

وهذه تذكرة لي ولإخواني القراء الكرام بخطر الخواتيم، حتى نستحضر هذه اللحظات الحاسمة التي يختم بها للعبد في الدنيا، ويترتب عليها مصيره في الآخرة.

1ـ معنى سوء الخاتمة:

سوء الخاتمة أن يموت العبد على حالة سيئة، من كفر، أو جحود، أو شك، وهذه الداهية العظمى، والرزية الكبرى، فإن ذلك يوجب لصاحبه الخلود في العذاب، وأدنى من ذلك أن يموت، وهو متلبس بمعصية من معاصي الله، أو مصر عليها بقلبه، والمرء يبعث على ما مات عليه.

وسوء الخاتمة على رتبتين. نعوذ بالله من ذلك: على القلب عند سكرات الموت وظهور أهواله: إما الشك وإما الجحود فتقبض الروح على تلك الحال وتكون حجابا بينه وبين الله، وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد.

والثانية وهي دونها، أن يغلب على قلبه عند الموت حب أمر من أمور الدنيا أو شهوة من شهواتها المحرمة، فيتمثل له ذلك في قلبه، والمرء يموت على ما عاش عليه، فإن كان ممن يتعاطون الربا فقد يختم له بذلك، وإن كان ممن يتعاطون المحرمات الأخرى من مثل المخدرات والأغاني الماجنة والتدخين ومشاهدة الصور المحرمة وظلم الناس وأكل أموالهم وغمط حقوقهم ونحو ذلك فقد يختم له بذلك، أي بما يظهر سوء خاتمته والعياذ بالله، ومثل ذلك إذا كان معه أصل التوحيد فهو مخطور بالعذاب والعقاب.

2ـ خطر الخواتيم: قوله صلى الله عليه وسلم في الحديث الذي بين ايدينا:

(إنما الأعمال بخواتيمها)، أي لاتصلح الأعمال الصالحة، حتى يختم للعبد بعمل صالح، فيدخل الجنة. والخوف من سوء الخاتمة هو الذي طيش قلوب الصديقين ، وحير أفئدتهم في كل حين، حتى لهم في الدنيا راحة.

كم سمعنا عمن آمن، ثم كفر، وكم رأينا من استقام، ثم انحرف، لذلك كان كثيرا ما يردد عليه الصلاة والسلام من دعائه: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) رواه الترمذي وابن ماجة وأحمد.

ولقد ارتد في زمن النبي صلى الله عليه وسلم بعض من آمن، فخرجوا من النور إلى الظلمات، منهم عبيد الله بن جحش، ودخل في النصرانية، وارتد بعد وفاته عليه الصلاة والسلام خلق، فقاتلهم أبو بكر الصديق رضي الله عنه.

قال ابن الجوزي: من أظرف الأشياء إفاقة المحتضر عند موته، فإنه ينتبه إنتباها لا يوصف، ويقلق قلقا لايحد، ويتلهف على زمانه الماضي. ويود لو ترك حتى يتدارك ما فاته، ويصدق في توبته على مقدار يقينه بالموت، ويكاد يقتل نفسه قبل موتها بالأسف. فالعاقل من مثل تلك الساعة، وعمل بمقتضى ذلك. فإنه يكف كف الهوى، ويبعث على الجد.

فأما من كانت تلك الساعة نصب عينيه، كان كالسير لها. كما روي عن حبيب العجمي أنه كان إذا أصبح، قال لامرأته: إذا مت اليوم فغلان يغسلني، وفلان يحملني.

وقال معروف لرجل: صل بنا الظهر، فقال: إن صليت بكم الظهر، لم أصل بكم العصر، فقال: وكأنك تؤمل أن تعيش إلى العصر، نعوذ بالله من طول الأمل.

3ـ خوف السلف رضي الله عنهم من سوء الخاتمة:

العبد قبل أن تخرج روحه، يبشر بالنعيم، أو العذاب، فمن بشر بالنعيم، أحب لقاء الله، واشتاق إليه، فأحب الله لقاءه، ومن بشر بالعذاب، كره لقاء الله وأشفق منه، فكره الله لقاءه، ومن هنا كان خوف السلف، لأنهم ينتظرون في هذه اللحظات إحدى البشارتين:

بكى أبو هريرة عند موته، وقال: "والله ما أبكي حزنا على الدنيا، ولاجزعا من فراقكم، ولكن أنتظر إحدى البشريين من ربي، بجنة أو بنار".

وعن إسماعيل بن عبيد الله أن أبا مسلم قال: جئت أبا الدرداء، وهو يجود بنفسه، فقال: "ألا رجل يعمل لمثل مصرعي هذا، ألا رجل يعمل لمثل يومي هذا، ألا رجل يعمل لمثل ساعتي هذه، ثم قبض".

وقال الشعبي: لما طعن عمر، جاء ابن عباس فقال: يا أمير المؤمنين، أسلمت حين كفر الناس، وجاهدت مع رسول الله، صلى الله عليه وسلم، حين خذله الناس، وقتلت شهيدا، ولم يختلف عليك اثنان، وتوفي رسول الله، صلى الله عليه وسلم، وهو عنك راض، فقال له: أعد مقالتك، فأعاد عليه، فقال: المغرور من غررتموه، والله لو أن لي ما طلعت عليه الشمس، أو غربت، لافتديت به من هول المطلع.

ولما حضرت إبراهيم النخعي الوفاة، بكى فقيل له في ذلك، فقال: إني أنتظر رسولا يأتيني من ربي، لا أدري هل يبشرني بالجنة، أو بالنار.

4ـ أسباب سوء الخاتمة:

أ. فساد المعتقد، والتعبد بالبدع: فإن أهل البدع هم أكثر الناس شكا، واضطرابا عند الموت، وذلك لسوء معتقدهم، وفساد قلوبهم، ومرضها بالشبهات، والشكوك، ولاينفع الزهد، والصلاح، وإنما ينفع الاعتقاد الصحيح، المطابق لكتاب الله، وسنة رسوله، لأن العقائد الدينية لايعتد بها، إلا ما أخذت منها.

ب. مخالفة الباطن للظاهر: فقد يكون العبد بظاهره يعمل بطاعة الله، ولكنه يبطن النفاق، أو الرياء، أو يكون في قلبه دسيسة من دسائس السوء. كالكبر، أو العجب، فيظهر ذلك عليه في آخر عمره، ويختم له به، فتكون الخسارة الأبدية، كما في قصة الرجل الذي جاء ذكره في الحديث نحن بصدده.

ت. الإصرار على المعاصي، وإلفها: قال ابن القيم: "ومن عقوباتها. أي الذنوب، والمعاصي ": أنها تخون العبد أحوج مايكون إلى نفسه... إلى أن قال: هذا، وثم أمر أخوف من ذلك، وأدهى منه، وأمر، وهو أن يخونه قلبه، ولسانه عند الاحتضار، والانتقال إلى الله، فربما تعذر عليه النطق بالشهادة، كما شاهد الناس كثيرا من المحتضرين، أصابهم ذلك، حتى قيل لبعضهم: قل: لا إله إلا الله، فقال: آه آه، لا أستطيع أن أقولها. وقيل لآخر: قل لا إله إلا الله، فقال:شاه رخ غلبتك.... والأمثلة كثيرة جدا، على أن الإصرار على المعاصي من أسباب سوء الخاتمة، لايتسع المجال لذكرها.

ث. حب الدنيا: قال يحيى بن معاذ: الدنيا خمر الشيطان، من سكر منها، فلا يفيق إلا في عسكر الموتى، نادما بين الخاسرين. قالوا: وإنما كان حب الدنيا رأس الخطايا، ومفسدا للدين من وجوه: فهي حقيرة عند الله تعالى ولاتساوي عنده جناح بعوضة، ومن أحبها صيرها غايته، وتوسل إليها بالأعمال التي جعلها الله، وسائل إليه، وإلى الدار الآخرة، فعكس الأمر، وقلب الحكمة، ومحبتها تجعلها أكبر هم العبد، فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (من كانت الآخرة همه جعل الله غناه في قلبه وجمع له شمله وأتته الدنيا وهي راغمة ومن كانت الدنيا همه جعل الله فقره بين عينيه وفرق عليه شمله ولم يأته من الدنيا إلا ماقدر له) رواه الترمذي.

ج. العدول عن الاستقامة: فالاستقامة على دين الله نعمة من الله، ومن شكر هذه النعمة بالاعتراف بها باطنا والتحدث بها ظاهرا، والاجتهاد في الطاعة، ومن ترك الاستقامة، فقد كفر هذه النعمة العظيمة، ومن ذاق طعم الإيمان، وعرف طريق الرحمن، وأعرض عنه، اختار الضلالة على الهدى، والفجور على التقى، كان ذلك من سوء الخاتمة.

ح. تعلق القلب بغير الله: إذا تعلق القلب بغير الله محبة: أو توكلا، أو خوفا، أو رجاء فلابد أن يشقى العبد، قال النبي صلى الله عليه وسلم: (تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة...)رواه البخاري، فالقلب يشقى بإعراضه عن الله، وتعلقه بغيره، ولذا نهى الله أن يزداد حب العبد لابنه، وأبيه، وأخيه، وزوجته، وماله، فيكون أكثر من حبه لله، أو لرسوله صلى الله عليه وسلم، فقال تعالى: (قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالكم اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره والله لايهدي القوم الفاسقين)سورة التوبة/الآية:24.

خ. التسويف بالتوبة، والعمل الصالح: فمن أضر الأمور على العبد أن يقول: سوف أتوب، وسوف أعمل صالحا، وقد حذر الله في كتابه عباده من ذلك، ليستعدوا للموت قبل نزوله بالتوبة، والعمل الصالح، قال تعالى: (وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له من قبل أن يأتيكم العذاب ثم لاتنصرون، واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم من قبل أن يأتيكم العذاب بغتة وأنتم لاتشعرون ، أن تقول نفس ياحسرتى على مافرطت في جنب الله...) سورة الزمر/الآية:56.55.54.

5ـ تنبيه وختام:

ومما تجدر الإشارة إليه أن من أسباب سوء الخاتمة مايكون عند الموت، ومنها ما يكون قبل الدفن، ومنها ما يكون عند الدفن، ومنها ما يكون بعد ذلك، وقد رويت حكايات كثيرة من أحوال الناس في الدفن، وفي القبور لايقطع بصحة جميعها، ولكن نشير إجمالا بأنه يمكن لآحاد الناس أن يطلع على شيء من أحوال القبور في اليقظة، والمنام، كما أشار إلى ذلك الأئمة الأعلام، وذكروا جملا مستفيضة، وحكايات غريبة لأحوال المقبورين، فشأنها كشأن الإسرائيليات التي لانقطع بصدقها، ولابكذبها، مع إرساء هذا الأصل، وهو جواز وقوعها، والله أعلم.

ولقد وجب التنبيه على أمر هام، هو أن المؤمن الكيس الفطن، عليه أن يجتهد في ملازمة والتشبث بأسباب وعلامات حسن الخاتمة، وبالموازاة مع ذلك عليه أن يتنبه ويحذر من الوقوع فيما يؤدي إلى سوء الخاتمة، ومع ذلك كله عليه أن يستعين بدعاء ربه سبحانه عز وجل أن ييسر أمره ويرزقه حسن الخاتمة...

فاللهم إنا نسألك حسن الخاتمة ورضاك والجنة وكل عمل صالح ترضاه ويقرب إلى ذلك، آمين والحمد لله رب العالمين.

خطبة الجمعة

أضرار التدخين على جسم الانسان وعقله وماله

■ إعداد الاستاذ: محمد بن جلون

الخطبة الأولى:

الحمد لله الذي خلق الإنسان وسواه، وخصه بالعقل وبه هداه، واشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ولامعبود بحق سواه، وأشهد أن سيدنا محمدا عبده ورسوله ومصطفاه دعانا لدين الله القويم وأرشدنا إلى صالح الأعمال وكل خلق كريم اللهم صل وسلم وبارك عليه ما هو أهله، ورضي الله تعالى عن آله الأطهار وصحابته العلماء الأبرار وخلفائه الأربعة الراشدين وأزواجه أمهات المومنين والتابعين بإحسان إلي يوم لاريب فيه.

أما بعد:

فإنه لاأحد ينكر بأن الله تعالى قد زين الإنسان وخصه بنعمة العقل الذي به يستطيع أن يميز بين ماينفعه وبين مايضره في دينه وفي دنياه. وألهمنا تعالى بأن نعرف أنه ماأمر بشيء إلا وكانت فيه منفعة وفائدة للمخلوقات عامة ولبني الإنسان خاصة وما نهى وحرم شيئا إلا وكان في إتيانه ضرر للمخلوقات عامة وللإنسان خاصة. ونجد الاسلام بدعوته الإلاهية الحكيمة يؤمن الناس على حفظ الضروريات الخمس: حفظ الدين حفظ النفس حفظ النسل حفظ العقل وحفظ المال. التي هي أسس الشريعة وأسس أي كلام. في مقاصدها. ولايخفى أن إضرار الإنسان بنفسه بيده وبعقله هو أمر خطير يتصادم مع مبادىء الإسلام ومع دعوته القوية الرءوفة بالبشر. يؤكده رسول الله صلى الله عليه واله وسلم بقوله: "لن تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يسأل عن أربعة: عن عمره فيما أفناه وعن جسده فيما أبلاه وعن علمه ماذا عمل به وعن ماله من أين اكتسبه وفيم أنفقه"

عباد الله. أيها الشباب: قد سمعنا وعلمنا أن دين الإسلام قد نهى الناس أن يضروا أنفسهم بأنفسهم وأن يلقوا بأيديهم إلى هلاك جسمهم وعقلهم ودينهم ومالهم. قال تعالى (ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة) وقال تعالى (ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) وقال سبحانه وتعالى (ولاتبذر تبذيرا أن المبذرين كانوا اخوان الشياطين).

لقد أثبت العلم واثبت الطب أن التدخين مضر بجسم الإنسان ونسله وعقله خطير على الحياة وعلى المال. فقد ذكر علماء الطب الحديث أن السجارة الواحدة من التبغ تتكون أساسا من مادة النيكوتين وأن مؤخرها يحتوي على أكبر كمية ممكنة من هذه المادة المضرة (النيكوتين) وذكروا أنه بمجرد ما تشعل السيجارة ويخرج دخانها فإن ابخرة النيكوتين تمتص عن طريق الغشاء المخاطي المبطن للأنف وللقناة الهضمية حيث تتصاعد بعض مكونات التبغ كالبيرودين والأكرولين وغيرهما من المواد المضرة... زيادة على ماينتجه إحراق الورق الذي يغلف السيجارة من غاز أوكسيد الكاربون المضر للدم وضررا لايشعر به إلا المدخنون. وتأكد علماء الطب وعلماء النبات من أن تدخين سيجارة واحدة يدخل في جسم المدخن أو الذي يستنشقه حوالي 10 ميليكرام من النيكوتين وقالوا: بأن تأثير كميات النيكوتين ضار بجميع أجهزة جسم الإنسان ويضر بالجهاز العصبي المركزي كالتنفس والجهاز الدوري، فلذلك عندما يتناول المدخن عدة سيجارات يحصل على كمية وافرة من النيكوتين فيؤدي ذلك إلى حدوث ارتعاشات في الأعضاء وتشنجات عصبية. ويضر أيضا هذا النيكوتين بالجهاز الهضمي ضررا محسوسا اثبته العلم بالقطع. ويحس به المدمن بكثرة ويؤدي التدخين إلى ارتفاع ضغط الدم مما يجعل ضربات القلب تنخفض أولا ثم لاتلبث أن ترتفع وتتزايد بكثرة.

جاء في تقرير لكلية طبية بريطانية خطاب للمدخين في العالم كما يلي: "أيها المدخنون في العالم: "أقلعوا عن تعاطي الدخان وإلا عاجلتكم الموت" وأعلنت هذه الكلية الطبية رسميا: أن27500 مدخن يفتك بهم التدخين في كل عام تتراوح أعمارهم بين 34 و60سنة. وذكرت أيضا أنه سيموت 155 ألف مدخن من سنة1980 إلى سنة1990 وذلك بسرطان الرئة الناتج عن التدخين، وذكرت أيضا أن 90 في المائة من حالات الموت بسرطان الرئة هو بسبب التدخين.

وجاء في التقرير المذكور:" إن التدخين يسبب عدة أمراض رئيسية تؤدي إلى الموت"كإصابة السرطان للرئتين والنزلات الشعبية للصدر وضرر الكبد ومرض الشرايين التاجي والذبحة الصدرية وسرطان الفم والحلق والبلعوم والحنجرة. وفي نفس التقرير: أن النساء اللواتي يتعاطين التدخين يحصل لهن إسقاط الجنين بسببه. وأنهن كثيرا مايلدن أطفالا يموتون بسبب التدخين في سن طفولتهم ومنذ عدة سنوات خلت كنت احتفظت بقطعة من جريدة عربية تحمل هذه القطعة العنوان التالي: "الأباء المدخنون يعرضون أطفالهم للخطر" وكتبت: "أوضحت دراسة رسمية أمريكية جديدة أن الآباء المدخنين "يعرضون صحة أطفالهم للخطر وأن الأطفال الذين "يتعرضون لتدخين السجائر من الكبار يعانون من مشاكل "صحية أكثر من غيرهم من الأطفال الذين لايدخن آباؤهم" "وقد كشف الدكتور لويس سوليف ان وزير الصحة الأمريكي "نتائج هذه الدراسة التي أجرتها وزارته في تصريحات أدلى بها... مشيرا إلى أن المشاكل الصحية التي يعاني منها الأطفال الذين يعيشون في منازل يدخن فيها الأباء ضاعف عدد المشاكل الصحية التي يواجهها الأطفال الذين يعيشون في منازل خالية من التدخين. وقال: إن من المشاكل الصحية الشائعة أمراض الجهاز التنفسي والحساسية الخ الخ) هذه أيها الاخوة المومنون أرقام توضيحات عرضناها حسب الإمكان نرجو أن تحل محل اقتناع الاخوة المدخنين ويتعطون بمدلولاتها اتعاظا يجعلهم يتشجعون بإيمان قوي فيقلعون عن تعاطي التدخين إقلاعا نهائيا لحسم جرثومة هذه المادة الخبيثة عن الضرر بالصحة والنسل والمال (ومن يعتصم بالله فقد هدي إلى صراط مستقيم) اللهم انا نسألك العفو والعافية والمعافاة في الدين والدنيا وحسن الأخرة. أمين والحمد لله رب العالمين.

الخطبة الثانية:

نظريات عدم اباحة التدخين

الحمد لله الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن كثير لا إله إلا هو التواب العفو الكريم سيدنا محمد رسوله المبعوث رحمة للعالمين صلى الله عليه وسلم وبارك عليه وآله وصحبه أجمعين.

أما بعد،

فمن المقرر المعلوم في الدين: إن كل ماثبت ضرر أكله أو شربه فهو ممنوع تعاطيه وتناوله ويجب اجتنابه.

والمسلم المومن هو المستسلم طواعية لجميع أوامر الله ونواهيه وأن حياة المسلم وجسده وولده وصحته وماله جميع ذلك كسب لله تعالى ونعم أنعمها عليه وأمانة عنده لايجوز له الإضرار بها بأي وجه ولا التفريط فيها ولاتبدير ماله إلا في المصلحة الدينية والدنيوية هذا كتاب الله يأمر كل إنسان مومن (ولاتلقوا بأيديكم إلى التهلكة) ويقول تعالى وينهى: (ولاتقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما) وفي الصحيح قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "لاضرر ولاضرار" رواه أحمد وابن ماجة.

كان بودنا أن نعرض هنا بعض اختلافات علماء متقدمين في شأن منع التدخين أو اباحته. ولكن (خوفا من التطويل) ارتأينا أن نقتصر على عرض أقوال بعض العلماء المعاصرين الذين درسوا المسألة دراسة عميقة على ضوء التحليلات الدقيقة والمستنتجات التي توصلوا إليها عن معرفة شاملة مما لمسوه من لغة الأرقام المحسوسة التي أشرنا إليها سالفا.

فمن علماء الدين: الشيخ محمد بن مانع. كبير علماء قطر ومدير معارف السعودية في عصره. قال: إن القول بإباحة الدخان ضرب من الهذيان، فلا يعول عليه انسان لضرره الملموس وتحذيره المحسوس ورائحته الكريهة وبذل المال فيما لافائدة فيه. فلا تغتر بأقوال المبيحين فكل يؤخذ من قوله ويترك إلا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم قلت: "روى الامام أحمد وأبو داود عن أم سلمة أن رسول الله(ﷺ) " نهى عن كل مسكر ومقتر" رمز له السيوطي في الجامع الصغير بعلامة الصحة. واقره المناوي في فيض القدير. قال العلماء: المفتر: مايورث الفتور والخدر في الأطراف. وحسبنا هذا الحديث الشريف الصحيح دليلا على منع التدخين. اهـ

وقال الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهر سابقا في فتاواه: "إذا كان التبغ لايحدث سكرا ولايفسد عقلا فإن له آثارا يحسها شاربه في صحته ويحسها حتى غير شاربه، وقد حلل الأطباء وعرفوا في الدخان العنصر، السام الذي يقضي وإن كان يبطئ. على سعادة الانسان وهنا به فهو إذا. أذى وضار. والإيذاء والضرر خبث يحرم به الشيء في نظر الإسلام. وإذا نظرنا إلى جانب ماينفق فيه من مال عرفنا أن هذه الجهة تقضي في نظر الشريعة بحضره وعدم اباحته. ومن هنا نعلم أخذا من معرفتنا الوثيقة بآثار التبغ السيئة في الصحة والمال أنه مما يمقته الشرع الإسلامي ويكرهه ديننا الحنيف اهـ.

وفي الختام نقول: إنه مادام قد ثبت دينيا وطبيا واجتماعيا أن التدخين مضر بالانسان بجسمه وعقله وأعصابه وجهازه الهضمي. وثبت أيضا أن المدخنين الذين يتأثرون لعدم التدخين مدة ساعة أو أقل أو أكثر فتتغير أمزجتهم وتثور أعصابهم ، فإن التدخين في حقهم ومن ذكر قبلهم يكون محظورا شرعا عليهم ولايجوز لهم تناوله أبدا، لأن القاعدة الفقهية تقول: كل ما خامر العقل كثيره فقليله حرام" ومن قال: ان التدخين لايؤثر عليه في شيء ولايضره بجسمه ولابعقله... أجابه العلماء: بأن إضاعة المال فيما لاينفع المسلم، في دينه أو دنياه. منهي عنه شرعا لأن رسول الله صلى الله عليه و ءاله وسلم قد نهى عن إضاعة المال فيما لايعني. كما رواه البخاري، وخصوصا إذا كان المدخن ضعيفا محتاجا لثمن ذلك التبغ لينفقه على نفسه وأهله وولده ووالديه.

وإننا نتوجه إلى جميع المدخنين من رجال ونساء وشباب وأطفال (تحت رعاية آبائهم) بأن يقلعوا عن التدخين تدريجيا ثم نهائيا بشجاعة مستمرة وبإيمان قوي وجازم وبالله، فإن العالم بأسره قام ينادي في السنوات الأخيرة بوجوب الابتعاد عن التدخين وبتركه نهائيا لثبوت أضراره التي علمها الخاص والعام وأيدتها لغة الأرقام.

وبصفة خاصة ندعو الشباب لينزهوا أنفسهم عن الوقوع... أو التمادي في هذه الآفة الخطيرة الخبيثة التي تفسد عليهم صحتهم وتخدر عقولهم وتضعف من قوتهم وتذبل بها نضارة شبابهم فعليهم أن يبادروا بالكف عن التدخين في أول الأمر بسهولة وبنبذة قبل أن يتمكن منهم فلا يجدون له بعد ذلك مخرجا ولامقرا. قال الله تعالى: (فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح، فإن الله يتوب عليه) اللهم استرنا بسترك الجميل والطف بنا بلطفك الخفي وتب علينا جميعا بمحض فضلك إنك أنت التواب الرحيم. واغفر لنا ولوالدينا وارحمنا جميعا وارحم جميع المومنين. وصل اللهم وسلم وبارك على خير خلقك رسولك سيدنا محمد صاحب الخلق العظيم ورضي الله عن آله وأصحابه وخلفائه وأزواجه والتابعين إلى يوم الدين. وانصر اللهم مولانا أمير المومنين جلالة الملك سيدي محمد السادس اللهم أمده بنصرك المبين وأصلح به وعلى يديه البلاء والعباد واحفظه في ولي عهده سمو الأمير مولاي الحسن وأنبته نباتا حسنا وشد أزره بشقيقه صاحب السمو الملكي الأمير مولاي رشيد واحفظه في كافة الأسرة الملكية الشريفة آمين، ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين واجعلنا للمتقين اماما. سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين.

علم التوقيت وآلة الزرقالة والشكازية

- الحلقة الثانية -

■ إعداد الأستاذ : محمد الرمشاني

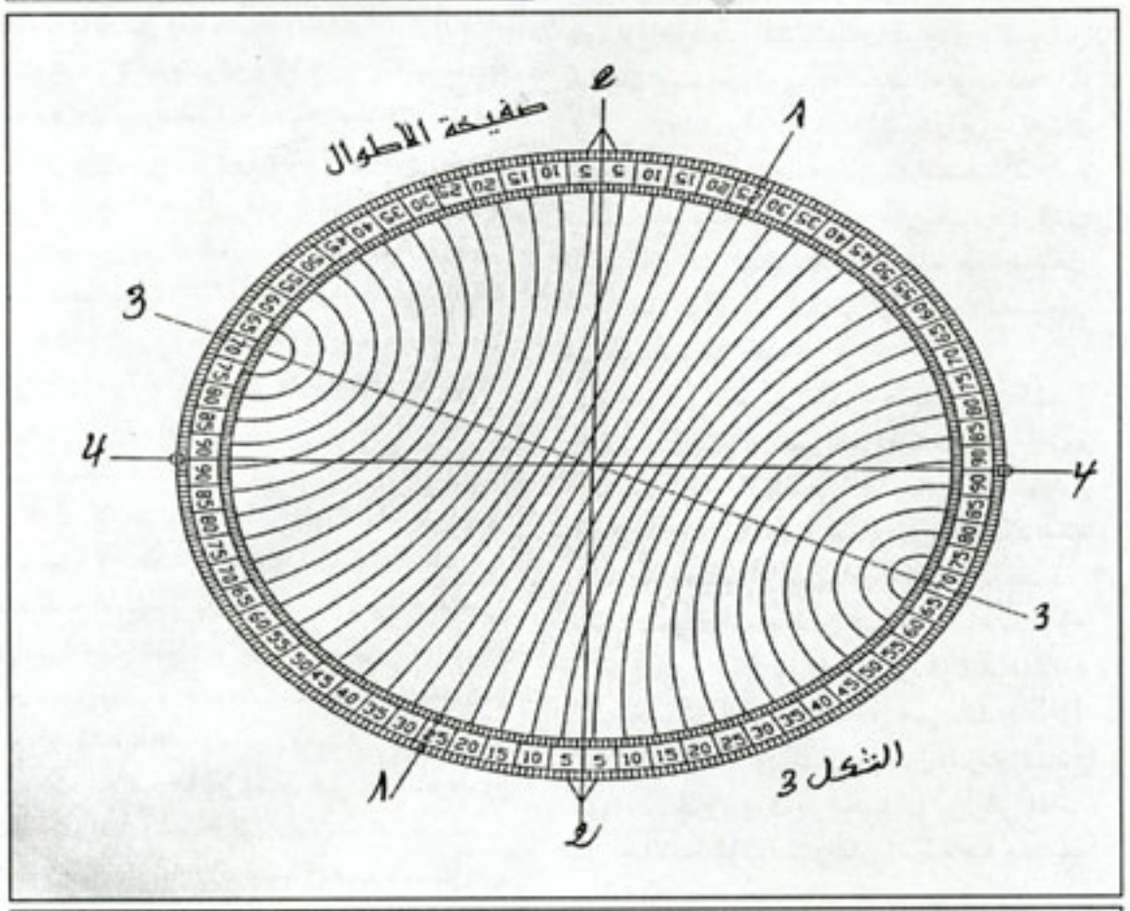

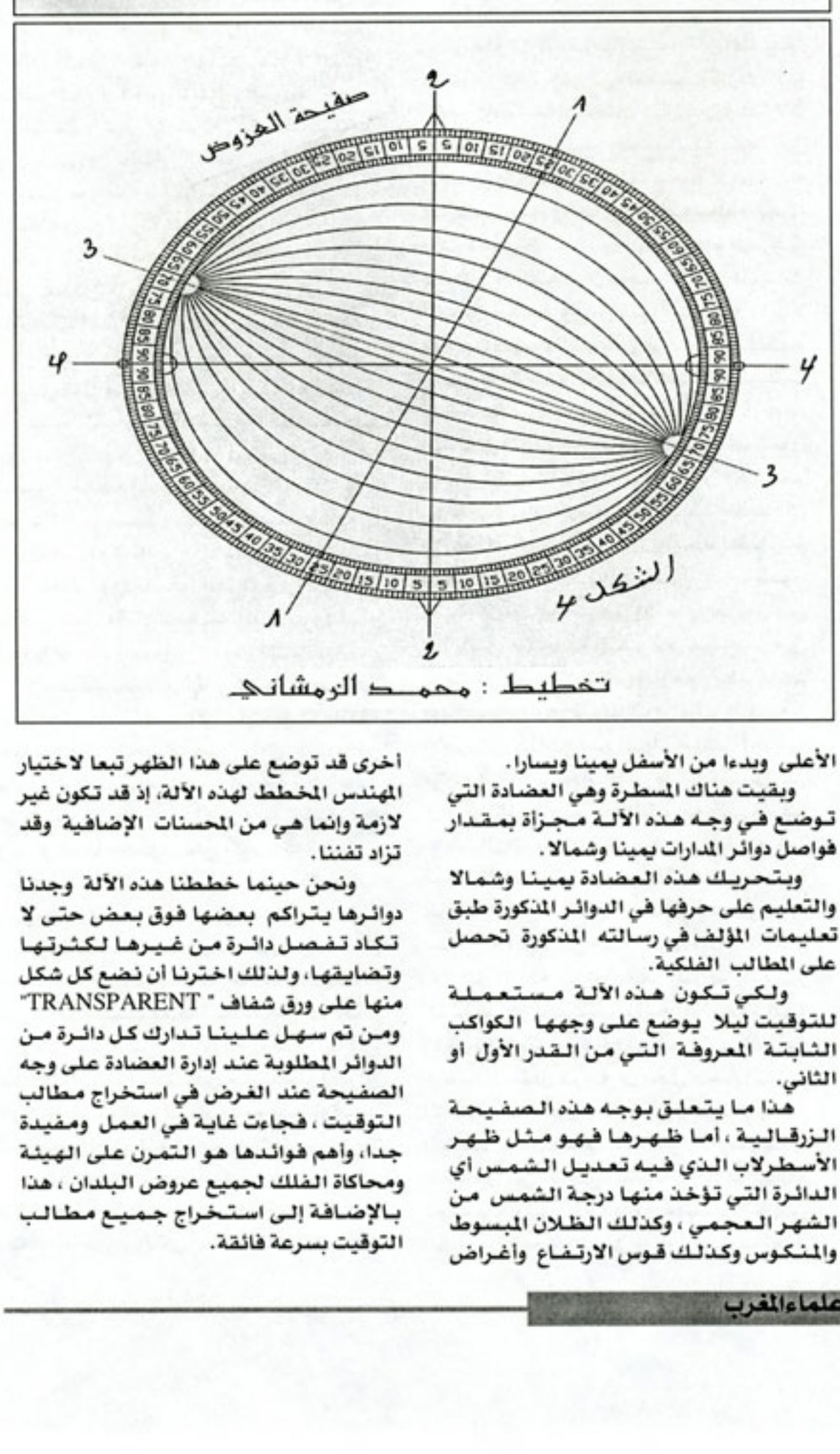

. الباب (11) في معرفة الميل من قبل قوس النهار والليل.
. الباب (12) في معرفة أزمان الساعات النهارية والليلية من قبل قوس كل منهما.
. الباب (13) في معرفة كم ساعة معتدلة في الليل والنهار.
. الباب (14) في معرفة رد الساعات الزمانية مستوية ورد المستوية زمانية.
. الباب (15) في معرفة عرض البلد من قبل قوس النهار والليل والميل.
. الباب (16) في معرفة مطالع البروج في الفلك المستقيم.
. الباب (17) في معرفة درج المطالع إلى درج السواء:
. الباب (18) في معرفة الدائر من الفلك من قبل ارتفاع الشمس ونصف قوس النهار.
. الباب (19) في معرفة ما مضى من النهار من ساعات زمانية أو معتدلة من قبل الدائر من الفلك.
. الباب (20) في معرفة مامضى من النهار من ساعة زمانية من قبل ارتفاع الشمس في دائرة نصف النهار.
. الباب (21) في معرفة ارتفاع كل ساعات من ساعات النهار.
. الباب (22) في معرفة ارتفاع الشمس من قبل مامر من النهار من ساعة.
. الباب (23) في معرفة درجة وسط السماء من قبل مامر من النهار أو الليل من ساعة.
. الباب (24) في معرفة مامر من النهار أو الليل من ساعة من قبل درجة وسط السماء.
. الباب (25) في معرفة وضع الكوكب بطوله وعرضه بأوجه الصفيحة.
. الباب (26) في معرفة استخراج أبعاد الكواكب من مواضعها عند غروب الشمس.
. الباب (27) في معرفة الدائر من البلد من غروب الشمس إلى مغيب الشفق من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.
. الباب (28) في معرفة أبعاد الكواكب من مواضعها لمغيب الشفق وطلوع الفجر.
. الباب (29) في معرفة مواضع الكواكب عند غروب الشمس ومغيب الشفق وعند طلوع الفجر وطلوع الشمس.
. الباب (30) في معرفة ارتفاع الكواكب لغروب الشمس ومغيب الشفق وطلوع الفجر وطلوع الشمس.
. الباب (31) في معرفة جهة أي كوكب شئت من الأفق وهل هو ظاهر أو غائب في المشرق هو أو في المغرب لغروب الشمس.
. الباب (32) في معرفة على كم ساعة يطلع الكوكب أو يغرب من نهار أو ليل منقبل بعده من الأفق.
. الباب (33) في معرفة ما يطلع من الكواكب وما يغرب وماهو أبدي الخفا.
. الباب (34) في معرفة بعد الكوكب عن معدل النهار.
. الباب (35) في معرفة قوس النهار أي كوكب شئت وقوس ليله إن كان له طلوع وغروب في بلدك.
. الباب (36) في معرفة سعة مشرق الكوكب ومشرق الشمس ومغربها في المغرب من دائرة الأفق.
. الباب (37) في معرفة قوس نهار الشمس والكواكب من قبل عرض البلد ومن قبل سعة مشرقهما ومغربهما.
. الباب (38) في معرفة عرض البلد من قبل سعة مشرق الشمس أو الكوكب أو مغربهما.
. الباب (39) في معرفة عرض البلد من قبل ارتفاع الكوكب بالليل.
. الباب (40) في معرفة الدرجة التي يتوسط الكوكب معها السماء.
. الباب (41) في معرفة الدائر من الفلك من قبل ارتفاع الكوكب بالليل ونصف قوسه.
. الباب (42) في معرفة مامر من الليل من ساعة زمانية أو معتدلة من قبل الدائر من الفلك.
. الباب (43) في معرفة مامر من الليل من ساعة زمانية أو معتدلة من قبل ارتفاع نظير جزء الشمس.
. الباب (44) في معرفة ارتفاع الكوكب في كل ساعة ما فيه من ساعات الليل.
. الباب (45) في معرفة على كم ساعة يغيب الشفق ويطلع الفجر من الليل .
. الباب (46) في معرفة سمت الشمس بالنهار والكواكب بالليل من قبل الارتفاع.
. الباب (47) في معرفة سمت الشمس والكوكب بالليل والارتفاع من قبل مامر من النهار أو الليل من الساعات.
. الباب (48) في معرفة ساعات الليل من قبل ارتفاع العصر.
. الباب (49) في معرفة ميل الشمس وبعد الكوكب عن معدل النهار ومامر من النهار أو الليل من ساعة من قبل السمت والارتفاع.
. الباب (50) في معرفة درجة الطالع من قبل درجة وسط السماء.
. الباب (51 في معرفة سمت أي بلد شئت من بلدك.
. الباب (52) في معرفة كيف يخط السمت في الأرض لخروج القبلة.
. الباب (53) في معرفة ارتفاع أي كوكب شئت وسمته إذا كان مجهول الموضع من فلك البروج.
. الباب (54) في معرفة رؤية الهلال بالعشيات والغدوات.
. الباب (55) في معرفة ما بين كوكبين من درج الدائرة الفلكية المخطوط عليها.
. الباب (56) في معرفة الساعات الماضية من النهار والليل في بلد آخر من قبل قياس الشمس أو الكوكب في بلدك الذي أنت فيه.
. الباب (57) في معرفة ترتيب أوقات السحور.
. الباب (58) في معرفة أصابع الظل المبسوط والمنكوس من قبل الارتفاع.
. الباب (59) في معرفة الارتفاع من الظلين.
. الباب (60) في معرفة ظل الزوال في كل يوم وهو ظل نصف النهار ، ومعرفة وقت الظهر والعصر.

حقيقة هذه الآلة فريدة من نوعها عجيبة في صنعها ، فهي تفيدك في تصور دوائر الهيئة التي يحتاج إلى تصورها عالم التوقيت والفلك، وهي دوائر متوهمة شكلت هذه الدوائر على وجه هذه الصفيحة كما ترى في الشكل المرفق مع هذا المقال، ولقد وضعتها لك مفصلة لترى الدوائر التي تدور عليها أعمال هذ ه الآلة وذلك في أربعة أشكال:

. ففي الشكل رقم (1) ترى قطب العالم وهو قطب دائرة المعدل وعليه دوائر الممرات وهي أقواس الميول والعروض.
. وفي الشكل رقم (2) ترى دائرة المعدل، وبموازاتها دوائر المدارات الشمالية والجنوبية.
. وفي الشكل رقم (3) ترى دائرة البروج، وبموازاتها دوائر الأطوال شمالا وجنوبا.
. وفي الشكل رقم (4) ترى قطب دائرة البروج، وعليه دوائر العروض أي عروض الكواكب.

هذه الرسوم التي تسطر على وجه هذه الصفيحة ، أما الدائرة المحيطة بالجميع فهي الدائرة المارة بالأقطاب الأربعة، وهي مجزأة كما ترى إلى تسعين 90 بدءا من الأعلى وبدءا من الأسفل يمينا ويسارا.

وبقيت هناك المسطرة وهي العضادة التي توضع في وجه هذه الآلة مجزأة بمقدار فواصل دوائر المدارات يمينا وشمالا.

وبتحريك هذه العضادة يمينا وشمالا والتعليم على حرفها في الدوائر المذكورة طبق تعليمات المؤلف في رسالته المذكورة تحصل على المطالب الفلكية.

ولكي تكون هذه الآلة مستعملة للتوقيت ليلا يوضع على وجهها الكواكب الثابتة المعروفة التي من القدر الأول أو الثاني.

هذا ما يتعلق بوجه هذه الصفيحة الزرقالية ، أما ظهرها فهو مثل ظهر الأسطرلاب الذي فيه تعديل الشمس أي الدائرة التي تؤخذ منها درجة الشمس من الشهر العجمي ، وكذلك الظلان المبسوط والمنكوس وكذلك قوس الارتفاع وأغراض أخرى قد توضع على هذا الظهر تبعا لاختيار المهندس المخطط لهذه الآلة، إذ قد تكون غير لازمة وإنما هي من المحسنات الإضافية وقد تزاد تفننا.

ونحن حينما خططنا هذه الآلة وجدنا دوائرها يتراكم بعضها فوق بعض حتى لا تكاد تفصل دائرة من غيرها لكثرتها وتضايقها، ولذلك اخترنا أن نضع كل شكل منها على ورق شفاف "TRANSPARENT" ومن تم سهل علينا تدارك كل دائرة من الدوائر المطلوبة عند إدارة العضادة على وجه الصفيحة عند الغرض في استخراج مطالب التوقيت ، فجاءت غاية في العمل ومفيدة جدا، وأهم فوائدها هو التمرن على الهيئة ومحاكاة الفلك لجميع عروض البلدان ، هذا بالإضافة إلى استخراج جميع مطالب التوقيت بسرعة فائقة.

هيمنة عقائد السنوسي على سلك التعليم بالغرب الإسلامي

■ إعداد الأستاذ: يوسف احنانه

■ إن المظهر الذي ظهرت به عقائد السنوسي في هذه المرحلة بوأها مكانة عالية في عملية تعليم العقيدة الأشعرية، وتكريسها عقيدة رسمية للبلاد، وذلك نظرا لبساطة مضامينها ومراعاتها للشروط الموضوعية لهذه الفترة اجتماعيا، وفكريا، فكانت . بحق مرآة تعكس مستوى التطور العقدي الذي عرفه الغرب الإسلامي في هذه المرحلة والذي طبعه تقهقر وتراجع نوعي، إذا ما قورن بالمرحلة السابقة لاسيما في مرحلة الترسيم والتغلغل.

وقد مكنتنا هذه الخصائص أن تكتسح أسلاك التعليم، فدخلت دخولا رسميا إلى برامج التدريس بالجوامع والمدارس العتيقة، وأقبل الناس على تعلمها، والمفكرون على تكريسها عن طريق تدريسها للصغار والكبار ووضع تقاييد توضيحية عليها متعددة ومختلفة، فلو أخذنا مثلا العقيدة الصغرى لوجدناها تلقن للصغار في الجوامع، حتى يحفظوها عن ظهر قلب، ولكنهم ما إن يرتقوا في سلم أسلاك التعليم، حتى تجدهم يقبلون على دراسة شرحها الذي وضعه السنوسي نفسه، أو شروحها الأخرى. وبعد ذلك يتوجهون إلى بعض الحواشي على شروحها وذلك طلبا للتوسع في معانيها ومضامينها، وبحثا عن جليل الكلام ودقيقه في محتوياتها.

ويغلب على ظننا أن العقيدة الصغرى كانت إلزامية على طول هذه المرحلة في كل الأنظمة التعليمية بالغرب الإسلامي السني، وسندنا في هذا الترجيح هو أننا لانكاد نجد نظارا أشعريا، أو مفكرا إلا وله في هذه العقيدة يد، وله منها نصيب، شرحا أو حاشية أو تدريسا أو تعليقا أو نظما أو تطويرا.

وهذا دليل آخر على هيمنة هذه العقيدة بالضبط على النظام التعليمي بالغرب الإسلامي، لم يسبق لعقيدة أخرى أن مارستها فيما قبل.

على أن الأمر ليس مقتصرا في ذلك على العقيدة الصغرى فقط بل إن مجموع عقائد السنوسي كانت تقوم بمثل هذا الدور الذي قامت بهذه العقيدة لكن بدرجة أقل.

وكل هذا يدفعنا إلى التأكيد من جديد على المرجعية الكبيرة لعقائد السنوسي كل عقائد السنوسي في هذه المرحلة في جميع مستويات الخطاب الكلامي التعليمي بمختلف أشكاله وضروبه. فحلقات الدرس والتدريس كانت إجمالا تصدر عن روح أشعرية سنوسية واضحة، لايقوى أحد على التشكيك فيها.

ومايؤكد طغيان الروح السنوسي جملة وتفصيلا على هذه المرحلة أننا وجدنا شراحا يشرحون نصوصا كلامية غير سنوسية لكنهم عندما يصطدمون بصددها بما يتناقض أو يختلف مع مايذهب إليه السنوسي نراهم ينتصرون لرأي السنوسي ويؤيدون مايذهب إليه ويدعمونه، وكذلك النقاشات الكلامية التي سادت في هذه المرحلة كانت عادة ماتأخذ محاور نقاشها ومواضيعها من أفكار السنوسي، ومايذهب إليه، وتنتهي في النهاية إليها. فكثيرة هي السجالات الكلامية التي دخل فيها مفكرون من الغرب الإسلامي في هذه المرحلة كانت تجد في عقائد السنوسي وأفكاره وأجوبته منطلقها ومنتهاها، في نفس الوقت فهي تبذر بتوضيح رأي السنوسي ترددت حوله الأفكار وتباينت، مأخوذ من أحد مؤلفاته أو رسائله ليحتدم حوله النقاش ولتكون في النهاية تأكيدا لذلك الرأي وتدعيمها لهذا الاختيار، وانتصارا لمذهب السنوسي. ولنأخذ مثالا على ذلك النقاش الذي دار حول كلمة الإخلاص "لا إله إلا الله"، أو النقاش حول إيمان المقلد، أو النقاش حول تعلق رؤية الله بالمعدوم، فكلها نقاشات طبعت هذه المرحلة وسارت على نفس النسق الذي ذكرنا.

أما فتاوى العقيدة فقد كانت في الغالب تستلهم توجهات السنوسي وآراءه الكلامية، فالنوازل في جامعها المخصص لبعض الأسئلة العقدية، التي كان يوجهها بعض الناس إلى أشهر من كان يعرف في وقته بعالم الوقت، فكانت الإجابة عنها في غالبيتها لاتخرج عن روح السنوسي الفكرية، وغالبا ما نجد من هذه الأجوبة توثيقا لمصدر الجواب يرجع إلى أحد مؤلفات السنوسي حتى تكون في ذلك تزكية وتدعيم للجواب.

ويمكن القول إجمالا إن كل ما كان يحوم حول العقيدة الأشعرية وتعليمها وتكريسها في هذه المرحلة كان يجد مرجعيته في أقوال السنوسي وتوجهاته، ولهذا السبب أخذ هذا الرجل صفة الإمام من طرف جميع من جاء بعده وهي صفة لايأخذها في المذهب الأشعري إلا من وصل مرتبة عالية في الاطلاع والاجتهاد داخل المذهب.

ولقد استمرت هيمنة عقائد السنوسي إلى يومنا هذا، فلم نعدم في أيامنا هذه من لازال يهتم بهذه العقائد عن طريق وضع الشروح والتعليقات عليها، ولنذكر على سبيل المثال فقيه تطوان وقاضيها أحمد الرهوني (ت19953م)فقد كان وضع شرحا على صغرى السنوسي سماه "الغنيمة الكبرى بشرح مقدمة السنوسي الصغرى" وإبراهيم بن أحمد المارغيني الذي وضع شرحا سماه "طالع البشرى على شرح العقيدة السنوسية الصغرى".

أما في قرى ومداشر المغرب ماتزال بعض الجوامع تدرس عقائد السنوسي وبعض شروحها ويقبل الطلبة على حفظها (العقيدة الصغرى) عن ظهر قلب، وإن كانوا لايدركون بعضا من مضامينها لكنهم واعون في ذلك بأنها تمثل عقيدة أهل الحق (الأشاعرة)، وقد كان لنا لقاء مع بعض هؤلاء الطلبة فأكدوا لنا بذلك، واستشهدوابقول عبد الواحد بن عاشر (ت1040هـ) في منظومته المرشد المعين.

في عقد الأشعري وفقه مالك
وفي طريقة الجنيد السالك

وذلك دليل على وعيهم أن المغاربة كانوا في عقيدتهم أشاعرة ومايزالون، وأن الحفاظ على استمرارية المذهب الأشعري لابد أن يحفظ بحفظ عقائد السنوسي عن ظهر قلب، وتداولها في الجوامع والتكثير من ذلك.

وماتزال هناك ثلة من الفقهاء الذين كرسوا وقتهم للتدريس في مثل هذه الجوامع يدرسون بعض الحواشي على شرح أم البراهين، فيوقفون طلبتهم على بعض المضامين، وعلى بعض النكت المنطقية والنحوية والبلاغية فيها، والتعريف بأشهر الأعلام الواردة أسماؤها في هذا الشرح أو ذاك.

تطور المذهب الاشعري في الغرب الإسلامي

مصطلحات مرفوضة لتنافيها مع أسس العقيدة الإسلامية

■ إعداد الأستاذ: محمد الأمراني تازة

■ في بعض الأحيان نقرأ مصطلحا يستعمله بعض الكتاب وهو مرفوض لمصادمته لعقيدتنا الإسلامية، هذا المصطلح هو نسبة العطاء إلى الطبيعة ، فنسمع أو نقرأ مثل هذه الجملة من بعض كتابنا وهم يصفون الطبيعة في إيموزار أو إفران أو أشجار الأرز في لبنان قائلين:

لقد حبت الطبيعة هذه البلدان مناظر جميلة وأشجارا وارفة الظلال ، وقمما مكسوة بالثلوج فوق الجبال.

وهكذا ينسبون إلى الطبيعة . وهي المخلوقة الجامدة . صفة الخلق والعطاء، بينما الذي أعطى المغرب ولبنان وغيرهما هذه المناظر البديعة هو الله الخالق البارئ المصور، وقد يجمح بهم الخيال وهم ينظرون إلى تعدد ألوان الزهور وهي منتظمة في جمال بديع أخاذ إلى وصف الطبيعة بالخلق والإبداع والدقة وجمال التناسق ألخ.

وهذه النسبة الخاطئة توحي للقارئ أو السامع أن الطبيعة الجامدة هي مصدر هذا الإبداع والتنسيق والجمال.

لاأيها الإخوة إن الله هو الخالق المبدع « فالق الحب والنوى» الذي أتقن كل شيء في خلقه و « أخرج المرعى فجعله غثاء أحوى» وقد لفت أنظارنا إلى بعض مظاهر قدرته الباهرة في جمال الطبيعة بمختلف مظاهرها : من تفتح زهرة أو وردة، أو في خرير مياه دافقة أو نخلة باسقة أو شجرة وارفة أو ثلوج فوق القمم ألخ. كل هذا من صنع الخلاق الحكيم لامن صنع الطبيعة ولا من عطائها ، يقول الله تعالى مبدع هذه الأشجار والنباتات« أفرأيتم النار التي تورون أنتم أنشأتم شجرتها أم نحن المنشؤون نحن جعلنها تذكرة ومتاعا للمقوين فسبح باسم ربك العظيم » الآيات: 71. 72. 73. 74 من سورة الواقعة ، وقال في آية أخرى « أمن خلق السماوات والأرض وأنزل لكم من السماء ماء فأنبتنا به حدائق ذات بهجةما كان لكم أن تنبتوا شجرها أإله مع الله بل هم قوم يعدلون » الآية: 60 من سورة النمل قال ابن كثير: «أي أن الله تعالى هو الذي خلق السماوات في ارتفاعها وصفائها وما جعل فيها من الكواكب النيرة والنجوم الزاهرة والأفلاك الدائرة ، وخلق الأرض وما فيها من الجبال والسهول والأوعار والفيافي والقفار والزروع والثمار ، والأشجار والحيوانات والبحار، وانزل لكم من السماء ماء رزقا للعباد ، فأنبت به حدائق ذات منظر جميل وشكل بهي و ما كان بكم أيها العباد أن تقدروا على إنبات أشجارها ، وإنما يقدر على ذلك الخالق الرازق وحده لاشريك له»

وهناك مصطلح آخر مرفوض لمصادمته للعقيدة الإسلامية، ولتنافيه لما هو معلوم من الدين بالضرورة ، هذا المصطلح هو وصف الفيضانات والرياح العاصفة بأنها مظهر من مظاهر «غضب الطبيعة»؟ نسمع هذا في بعض الأحيان في القناتين، ولست أدري كيف يعقل أن ننسب إلى الطبيعة المخلوقة الجامدة هذه القوة الهائلة التي قد لا تبقي ولا تذر، لأيها الإخوة إن ما يقع من رياح عاصفة وأمطار طوفانية هو من غضب الله على بعض عباده «الذين طغوا في البلاد فأكثروا فيها الفساد فصب عليهم ربك سوط عذاب إن ربك لبالمرصاد» والذين زاغوا عن منهج الله في هذه الحياة ، قال الله تعالى في سورة هود: «وماكان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون» الآية: 117.

فحفاظا . أيها الإخوة . على عقيدتنا الإسلامية الصافية وعلى تعابير لغتنا السليمة ، والله الهادي إلى الرشاد والموفق لسلوك طريق صلاح العباد.

العقل واستراتيجيته التطويرية

■ إعداد الدكتور : إدريس خرشاف

■ يعتبر العقل من النعم الجليلة التي هباها الله لعباده في هذا الوجود ، فهو المستقبل لكل معطيات الجوارح كالعين والأنف والأذن.. التي تعتبر أدوات العبور نحو منطقة التحكم الإنسانية.

فلذلك يعبر القرآن الكريم عن الأشخاص الذين يعطلون عقولهم بالمخلوقات التي لا تستحق ذكر اسمها ضمن لائحة الآدمية ، بل يجعلهم في مرتبة أدنى من الأنعام ، مصداقا لقوله رب العالمين : « لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها، أولائك كالأنعام بل هم أضل » سورة الأعراف / الآية: 179.

من هنا يتضح لنا أن قوة الإنسان المسلم ، لا تكمن في ضخامة الأبحاث العلمية التي سيقوم بها ، ولا في قوته المالية أو الاجتماعية بقدر ما ترجع إلى المنهج الذي سيتولى توجيه هذه الأبحاث ، وتربية حياته الاجتماعية ، حتى يهيئها للمشاركة في عملية البناء الحضاري.

فلذلك يجب أن يكون موضوع تربية الإنسان والقضايا المتفرعة عنه، من الأولويات التي يجب أن تستأثر باهتمامنا، آخذة مجال تطبيقها من علم ماهو أدنى من الذرة إلى عالم المجموعات المجرية (Amas Gactique) .

وبما أن دين العقل هو دين العلم الإلهي ، إذ به يزداد الإنسان يقينا وتقربا إلى خالق هذا الكون، خاصة إذا أحس الفرد أنه استطاع بإمكانيته المتواضعة اكتشاف أو برهنة سر من أسرار هذا الكون، فإن محصلة العمل العقلاني هذه وديناميكيته ، سوف تكون لا محالة السبب للانتقال بصاحب العقل من مجال الكون إلى مجال الحركة ، إلى عالم تنبض فيه الحياة التطورية والأخلاق ، إن هو توصل إلى شرح وتحليل الآيات الكريمة، ومن بينها الآية الكبرى التي يقول فيها رب العالمين : « إن في خلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب » سورة آل عمران / الآية: 190.

مدخل

نلاحظ أن الإسلام مهد الطريق للعقل ، ليمارس وظيفته في العالمين ، اللامتناهي من الصغر (l'infiniment petit) واللامتناهي في الكبر (l'infiniment grand) على أحسن وجه، وأعطى ضمانات للعقل ليمارس وظيفته في الكونين إذ:

1 . رفض التقليد والتبعية الفكرية ، لأن هذه الأخيرة تحيد بالمسلم عن أداء رسالته التاريخية في بناء المجتمع الإسلامي، وتدفع به في متاهات حيث تسقط الأدوار الرئيسية للعقل ، وينتج عن ذلك التقوقع والغربة والتقليد الأعمى لكل ما هو أجنبي ومن ثم موت شخصية المسلم ، فلذلك ضرب لنا القرآن الكريم مثال القوم الذين خرجوا عن جادة الطريق حينما قالوا لرسلهم : « إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون » سورة الزخرف / الآية 23

ويعطينا القرآن العظيم مقابل ذلك ، أروع الأمثال من قصة سيدنا إبراهيم . عليه السلام. حين اتبع طريق المنهج الإسلامي ، حينما قال:

« وكذلك نري إبراهيم ملكوت السماوات والأرض وليكون من الموقنين فلما جن عليه الليل رأى كوكبا ، قال هذا ربي ، فلما أفل قال لا أحب الآفلين، فلما رأى القمر بازغا قال هذا ربي ، فلما أفل قال لئن لم يهدني ربي لأكونن من القوم الضالين ، فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربي هذا أكبر فلما أفلت قال ياقوم إني برئ مما تشركون سورة الأنعام الآيات :75،76،77،78.

فالعودة لهذه التعاليم السماوية إذن ، تعتبر واجهة حضارية بل ضرورية للإفادة من الإنجازات التاريخية والروحية للدين الإسلامي والارتكاز عليها في بناء نهضتنا المعاصرة.

إنها مفاهيم مطروحة على المسلم صاحب العقل الملتزم ، من أجل التغيير الاجتماعي والعلمي في العالمين المرئي واللامرئي (عالم الغيب والشهادة).

2. أمر باتباع دين الله والارتكاز عليه في كافة مناحي الحياة ، حيث نجد معلمنا الأكبر محمد (ﷺ) الذي لا ينطق عن الهوى ، يقول لنا : « إذا سألت فاسأل الله، وإذا استعنت فاستعن بالله ، واعلم أن أهل السماء والأرض لو اجتمعوا على أن ينفعوك بشيء لن ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك، وإذا اجتمعوا على أن يضروك بشيء لن يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ».

فهذه التعاليم التي تعتبر بندا من بنود الثقافة الإسلامية، لاشك وأنها تساهم في إزالة فكرة عقدة السلطوية، والتكتلات المتحدة (التي لفظتها الشعوب) التي ربما تشكل العائق الأساس لكل الأفراد المؤمنين بدينهم وبوطنهم ، على طرح النظريات الهادفة الإسلامية والتي ستعمل لا محالة . إن شاء الله . على إخراج المسلمين من سباتهم العميق نحو التقدم والتكنولوجية الفردية والجماعية.

ولهذا فإن الثقافة الإسلامية ، هي موقف إسلامي (اجتماعي وإنساني) لتحقيق المهام الكبرى والبرامج الهادفة للوطن الإسلامي بشكل عام من جهة، وهي الضمانة التي اتخذها الإسلام لمساعدة العقل الإنساني كي يؤدي دوره في هذا الوجود من جهة أخرى.

3 . سخر للإنسان الكون بكل أبعاده، إذ نلاحظ أن هذا التسخير كان موجها للقوم:

أ . الذين يتفكرن:

« الذين يذكرون الله قياما وقعودا وعلى جنوبهم ويتفكرون في خلق السماوات والأرض» سورة آل عمران ./ الآية : 191.

ب . الذين يعقلون:

«والنجوم مسخرات بأمره إن في ذلك لآيات لقوم يعقلون » سورة الأعراف / الآية:54.

ج . أصحاب الألباب : وما يذكر إلا أولوا الألباب » سورة البقرة / الآية :269

د . الذين يذكرون: « قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون » سورة الأنعام / الآية :126 .

ثم يأتي بالبصيرة ، مصداقا لقوله تعالى : « وتراهم ينظرون إليك وهم لا يبصرون ». سورة الأعراف / الآية:198. فالنظر في السماوات يكون بالعلم والتدبر وبالعقل، حتى نستطيع أن نبدع ونطور ونخوض غمار معركة البناء والإصلاح، كما فعل سلفنا الصالح، رضوان الله عليهم ... أمثال ابن البنا المراكشي، والبيروني، والغزالي وثابت بن قرة، والقلصادي وغيرهم من الذين تركوا بصماتهم في سجل تاريخ الإنسانية، فلذلك يقول الحق سبحانه وتعالى من أمثالهم:

« إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا » سورة مريم /الآية :96

كما كان ضمن هذا العلم الكثير من أسرار الكون ومن منطقه كان بناء الدولة الشامخة ، وعلينا أن نتأمل في قول الحق سبحانه وتعالى حينما تحدث عن سيدنا سليمان . عليه السلام .

«ولسليمان الريح غدوها شهرا ورواحها شهرا » سورة سبأ / الآية 12

فهذه الضمانات الروحية والمادية ، التي اتخذها الدين الإسلامي لمساعدة عمل العقل الإنساني لأداء دوره على أحسن وجه، يجب ألا تغيب عن أذهاننا إن أردنا الخير لأنفسنا ولوطننا ، مصداقا لقوله تعالى: « كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر » سورة / آل عمران / الآية: 110.

وهكذا نجد أن الدين الإسلامي وضع العقل مناط التكليف وأداة التقدم والحضارة حيث استطاع المسلمون خلق جو الطمأنينة والسلم الاجتماعي والراحة النفسية أينما حلوا وحيث ما وجدوا . فهل فعلنا ذلك نحن معشر المسلمين في هذا العصر؟؟؟

خواطر وخواطر

■ الأستاذ: محمد الخضر الريسوني

الملك محمد السادس في خيمة بين رعاياه منكوبي زلزال الحسيمة ومكفولي الأمة

■ ... وفيما كنت أتابع تطورات وتداعيات الزلزال الذي تعرضت له مدينة الحسيمة وقرى مجاورة من خلال شاشة التلفزيون طالعني مشهد إنساني مؤثر لجلالة الملك الشاب محمد السادس وهو يحتضن في رأفة وحنان طفلا صغيرا من الذين فقدوا آباءهم وأمهاتهم نتيجة الزلزل المدمر ، ثم شاهدته ينحني مواسيا سيدة مسنة ، فقدت أسرتها بالكامل، هذا بينما كانت خيمة جلالته منتصبة بين الخيمات التي يقيم فيها منكوبي الزلزال بعد أن آثر حفظه الله أن يكون واحدا منهم شاعرا بحالتهم وظروف عيشهم الأليمة.

إن هذا الحضور الكريم لجلالة الملك إلى جانب رعيته ومواساتهم في الظرف العصيب كان بمثابة درس عظيم للأمة لتزداد تعلقا والتفافا حول ملكها الذي عودها على فضيلة التضامن والإيثار والتكافل الاجتماعي، وكان موقف الملك في هذا الرزء الأليم إيذانا منه لإشعار رعيته بالواجب الإنساني في حق المتضررين والمنكوبين من الزلزال الذي أودى بحياة الآلاف من المواطنين والمواطنات، وبتلك النظرة الحانية الإنسانية التي صدرت من جلالة الملك الإنسان وهو يحضن الطفل الصغير أعطى جلالته التعليمات السامية لتحويل الأطفال اليتامى منكوبي الزلزال إلى مكفولي الأمة علما بأن رسول الله صلى الله عليه وسلم هو القائل:" أنا وكافل اليتيم في الجنة هكذا ويشير بأصبعيه السبابة والوسطى".

إن مشاركة جلالة الملك رعاياه في الحسيمة ومواساتهم وتخفيف الآلام عن فاجعتهم نابعة من حبه الكبير ووفائه لشعبه، وكان ذلك دافعه إلى إحداث مؤسسة محمد الخامس للتضامن التي تستهدف حماية الفقراء في أمته، وتأسيس مجتمع إنساني قائم على المبادئ الإحسانية والقيم الإسلامية ، وهي إشارة قوية في توطيد أواصر المحبة والإخاء مع رعاياه الأوفياء من طنجة إلى الكويرة وبناء جسر اجتماعي وتواصلي من شرق المغرب إلى جنوبه ومن شماله إلى غربه،

هذه المواقف الاجتماعية والإنسانية لها آثار عميقة ومردودية كبيرة للفئات المحرومة والطبقات المعوزة لتحقيق العدل والإنصاف في الحياة العامة ، وهي هدف استراتيجي لمواجهة آثار الفقر ومحوه وربط علاقته بالتنمية الاقتصادية والاجتماعية.

هذه المميزات السامية التي يتصف بها الملك الإنسان، وحملها في قلبه كمبدأ راسخ لا محيد عنه ، ماهي إلا إشارات خير من ملك محسن، وأن الله دائما مع المحسنين متجاوبا بذلك مع الحكمة القائلة: « اعرف الله في الرخاء يعرفك في الشدة»

الأخلاق الفاضلة في الإسلام

أحسنكم إيمانا أحسنكم أخلاقا

■ إعداد الأستاذ : عثمان بن خضراء

■ لم يحدث التاريخ أن دينا من الأديان وفق بين مصلحتي الدنيا والآخرة بقدرما فعل دين الإسلام

فالإسلام لم يجعل للجسد سلطة على الروح حتى يفنى فيه ويصبح الإنسان ماديا محضا . ولا للروح سلطة على الجسد بحيث يفنى فيها ويصبح مخلوقا غريبا عن هذا العالم ومن تأمل في أسباب سقوط الأمم واعتلائها وجد أن سقوطها لم يكن إلا أثرا من آثار اقتصارها على العمل لأمر دنياها وحده ، أوأمر آخرتها وحده . وأن اعتلاءها ناتج عن اعتدال الأمرين وتوازن الكفتين والتمتع بكلتا الحسنيين. قال تعالى «وابتغ في ما اتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا، وأحسن كما أحسن الله إليك ولا تبغ الفساد في الأرض ، إن الله لا يحب المفسدين» وقال سبحانه : «ربنا آتنا في الدنيا حسنة وفي الآخرة حسنة»

ووردت أحاديث نبوية شريفة كثيرة في هذا المعنى. قال صلى الله عليه وسلم : « إن أهل المعروف في الدنيا هم أهل المعروف في الأخرة وإن أول أهل الجنة دخولا للجنة أهل المعروف»

وقال عليه السلام: « اعمل لدنياك كأنك تعيش أبدا واعمل لأخرتك كأنك تموت غدا» وورد في روايات هذا الحديث : احرث المال كأنك تعيش أبدا . وورد اعمل عمل امرئ يظن أن لن يموت أبدا واحذر حذر امرئ يخشى أن يموت غدا. وذم رجل الدنيا عند سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال الإمام: « الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ودار غنى لمن تزود منها» ومن هنا ننطلق إلى ذكر الأخلاق الفاضلة التي هي ملكات في فطرة النفس تصقلها التربية والمعرفة ، وتقومها الحوادث الطارئة ، كذلك الرذائل كيفيات خبيثة في النفس لا تؤثر عليها التربية إلا آثارا عريضة لا جوهرية .

أول من يتصدر الأخلاق الفاضلة في الإسلام «الإيمان» والذي وردت فيه أحاديث نبوية شريفة كثيرة . قال عليه الصلاة والسلام: «أشرف الإيمان أن يأمنك الناس ، وأشرف الإسلام أن يسلم الناس من لسانك ويدك، المؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم».

« أفضل الإيمان أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك».

« من سرته حسنته وساءته سيئته فذلكم المؤمن»

«ليس بمؤمن من لم يأمن جاره غوائله»

« أحسنكم إيمانا أحسنكم أخلاقا . إن من كمال الإيمان حسن الخلق»

«علو الهمة من الإيمان» والمراد بعلو الهمة كبر النفس والطموح إلى معالي الأمور. وقال أمير المؤمنين سيدنا علي كرم الله وجهه:

«الإيمان أن تؤثر الصدق حيث يضرك على الكذب حيث يسرك»

ومن الأخلاق الفاضلة الفكر في العبادة . قال عليه الصلام والسلام : «لاعبادة كالتفكر»

فالعبادة هي طاعة الله عز وجل والتزام ما شرعه من الدين قال تعالى:«أقم الصلاة . إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» وقال عليه الصلاة والسلام:« من لم تنهه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم يزدد من الله إلا بعدا» « كم من صائم ليس له من صيامه إلا الجوع والعطش» قال بعض العلماء المتقدمين: « أدركنا السلف وهم لا يرون العبادة في الصوم ولا في الصلاة ولكن في الكف عن أعراض الناس . وقد نبه الشارع عليه السلام في غير ما حديث إلى تفضيل الأخلاق على العبادات بنسبة مالها من الأثر البين والنفع الظاهر في مصالح البشر وسعادة حالهم قال عليه الصلاة والسلام : « عدل ساعة خير من عبادة ستين سنة»

« إصلاح ذات البين خير من عامة الصلاة والصيام»

«عالم ينتفع به خير من ألف عابد»

« إن صبر أحدكم ساعة في بعض مواطن الإسلام خير له من أن يعبد الله أربعين يوما» يعني أن اهتمامه وثباته في موقف يدرأ به الخطر عن أمته خير له من العبادة في تلك المدة.

وذم رجل الدنيا عند علي بن أبي طالب رضي الله عنه فقال الإمام:« الدنيا دار صدق لمن صدقها ، ودار نجاة لمن فهم عنها ، ودار غنى لمن تزود منها» ومن الأخلاق الفاضلة التمييز بين الخير والشر . قال سيدنا الحسن البصري رضي الله عنه: « البر من لا يؤذى الذر، وضد الخير الشر»

فإن ضمير الإنسان هو الحكم العدل بينه وبين ربه في معرفة الخير والشر ، فلا يقول فلان أفتاني ، وفلان قال لي ، وإنما يرجع إلى أعماق نفسه وحر ضميره فهو لا يكذبه ولا يدلس عليه . قال عليه الصلاة والسلام : « استفت قلبك وإن أفتاك المفتون» وقد أرشدنا المشرع الأكبر إلى عمل الخير بجميع أنواعه . قال عليه الصلاة والسلام: الدال على الخير كفاعله والدال على الشر كفاعله»

«على كل مسلم صدقة ، فإن لم يجد فيعمل بيده فينفع الناس ويتصدق، فإن لم يستطع فيعين ذا الحاجة الملهوف ، فإن لم يفعل فيأمر بالخير، فإن لم يفعل فيمسك عن الشر، فإنه له صدقة»

وهناك حديث خص فيه صلى الله عليه وسلم بعض الواجبات ثم عمها فقال:

« كلكم راع وكلكم مسوول عن رعيته، فالإمام راع وهو مسؤول عن رعيته ، والرجل راع وهو مسؤول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها وهي مسؤولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده وهو مسؤول عن رعيته ، والولد راع في مال أبيه وهو مسؤول عن رعيته ، فكلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته»

فالشارع صلوات الله عليه يعتبر كل واحد من البشر له عمل في دنياه يجب عليه أن ينصح فيه ، ويقوم به خير قيام ، وإذا قصر في ذلك أو أهمل كان مسؤولا مؤاخذا

فلا تتحقق إنسانية الإنسان وكرم أخلاقه إلا إذا أحسن إلى المسيء . فإذا أحسن إلى المحسن فتلك تجارة معاوضة .

وفي الحديث الشريف قوله صلى الله عليه وسلم : « الفضل في أن تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتعفو عمن ظلمك» ومثل هذا الحديث ما وصف الله تعالى به الأبرار حيث قال: « ويدرءون بالحسنة السيئة» أي يدفعون الشر بالخير ، بحيث إذا أساء إليهم مسيء ، أحسنوا هم إليه ، ولم يقابلوه على إساءته بالسوء ، فهم إذا حرموا أعطوا ، وإذا ظلموا عفوا ، وإذا قطعوا وصلوا.

ومن كلام أمير المؤمنين سيدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «ياسبحان الله ما أزهد كثيرا من الناس في الخير عجبت لرجل يجيئه أخوه في حاجة فلا يرى نفسه للخير أهلا ، فلوكنا لا نرجو جنة ولا نخاف نارا ولا ننتظر ثوابا ولا نخشى عقابا لكان ينبغي لنا أن نطلب مكارم الأخلاق فإنها تدل على سبيل النجاة . ويقرب من كلام سيدنا علي رضي الله عنه ماورد عن سفانة بيت حاتم الطائي منذ أسرتها خيل رسول الله صلى الله عليه وسلم وأتوه بها فقالت : « هلك الوالد وغاب الرافد ، فإن رأيت أن تخلي عني ولا تشمت بي أحياء العرب فإن أبي كان سيد قومه يفك العاني ويقتل الجاني ويحفظ الجار ويحمي الديار ويفرج عن المكروب ويطعم الطعام ويفشي السلام ويحمل الكل ويعين على نوائب الدهر ، وما أتاه أحد في حاجة فرده خائبا ، أنا بنت حاتم الطائي»

فقال لها صلى الله عليه وسلم : « ياجارية هذه صفات المؤمنين حقا ، خلوا عنها فإن أباها كان يحب مكارم الأخلاق » ثم أسلمت هي وأخوها عدي بن حاتم رضي الله عنهما . ومن الأخلاق الإسلامية الفاضلة الصداقة ، الألفة، صلة الرحم ، المكافأة، التودد العبادة ، بر الوالدين وطاعتهما ترك الحقد ، مكافأة الشر بالخير ، استعمال اللطف ، ركوب المروءة في جميع الأحوال ، ترك المعاداة، ترك السكون إلى قول سفلة الناس .

رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحا ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين.

كتاب صدر

صدرت عن مطبعة آنفو برانت بفاس الطبعة الثانية من كتاب «دراسات في بعض آيات الأحكام» للأستاذين : الدكتور الحسين العمريش والدكتور علي البودخاني وهي طبعة مزيدة ومنقحة

سورة النساء
سورة المائدة
سورة الأحزاب
سورة الطلاق

دراسات في بعض آيات الأحكام

تأليف :
الدكتور : الحسين العمريش
والدكتور : علي البودخاني

الطبعة الثانية: مزيدة ومنقحة

وقفات في الهجرة النبوية الشريفة

-الحلقة الثانية-

■ إعداد الأستاذ: حسن اللويزي

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ـ صلى الله عليه وسلم ـ قال: إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ مانوى، فمن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو إلى امرأة ينكحها فهجرته إلى ما هاجر إليه".
وفي رواية: "فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله"
رواه البخاري ومسلم.
سراج الساري 1/52.

4. بيعة العقبة الأولى

آمن ستة نفر من الخزرج برسول الله ، وبايعوه على الصدق والإيمان، والنصرة في العقبة الأولى، حتى إذا كان العام المقبل وافى الموسم من الأنصار اثنا عشر رجلا فلقوه بالعقبة الأولى فبايعوه "ألا نشرك بالله ولانسرق ولانزني، ولانقتل أولادنا، ولا نأتي ببهتان نفتريه من بين أيدينا وأرجلنا ولانعصيه في معروف..."

وقد أرسل معهم (ﷺ) مصعب بن عمير وأمره أن يقرئهم القرآن ويعلمهم الإسلام ويفقههم في الدين.

5. بيعة العقبة الثانية:

وخرج من خرج من الأنصار من المسلمين إلى الموسم مع حجاج قومهم من أهل الشرك حتى قدموا مكة قال كعب بن مالك: حتى إذا مضى ثلث الليل خرجنا من خيامنا، ورسول الله (ﷺ) تسلل القطا مستخفين حتى اجتمعنا في الشعب عند العقبة ونحن 73 رجلا ومعنا امرأتان من نسائنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم "أبايعكم على أن تمنعوني مما تمنعون منه نساءكم وأبناءكم..." فأخذ البراء بن عازب بيده، ثم قال: "نعم والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه نساءنا فبايعنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، فنحن والله أهل الحروب" فقال رسول الله عليه وسلم: "أحارب من حاربتم وأسالم من سالمتم".

6. هجرة أصحاب رسول الله (ﷺ): (سيرة ابن هشام 482/2)

فلما عتت قريش على الله عز وجل وتكذيب رسوله (ﷺ) وعذبوا ونفوا من عبده ووحد وصدق نبيه، أذن الله عز وجل لرسوله في القتال، فكانت أول آية نزلت في إذنه بالحرب:

"أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير، الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله" سورة الحج /آية:40

فلما أذن الله بالحرب، وآمن به الأنصار وغيرهم أمر رسول الله أصحابه من المهاجرين من قومه ومن معه بمكة من المسلمين بالخروج إلى المدينة، والهجرة إليها، واللحوق بإخوانهم من الأنصار.

قال (ﷺ): "إن الله عز وجل قد جعل لكم إخوانا ودارا تامنون بها..." فخرجوا طائفة بعد طائفة. أما رسول الله (ﷺ) فانتظر إذن ربه عز وجل بالهجرة.

7. التآمر على حياة النبي (ﷺ):

بعد أن انتشر الإسلام في يثرب، دعا النبي (ﷺ) مسلمي مكة إلى الهجرة منها لازدياد الأذى عليهم فصاروا يتسللون خفية خوفا من أن تمنعهم قريش إن خرجوا علانية.. ظل النبي (ﷺ) بمكة بعد هجرة أصحابه ينتظر إذن الخالق عز وجل، وقد أرشده الله أن يدعو بهذا الدعاء:

"وقل رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطانا..."سورة الإسراء/الآية:80.

ولم يتخلف مع النبي بمكة أحد من المؤمنين إلا من اضطهد وحبس سوى علي بن أبي طالب وأبو بكر الصديق وقد اتفق صناديد الكفر بدار الندوة برئاسة أبو جهل اللعين على التوصيات التالية: ابن هشام 480/2.

1. إخراجه (ﷺ) من أرضهم.
2. حبسه حتى يموت.
3. قتله بطريقة تمنع عشيرته من الثأر من قاتليه وذلك باختيار شاب عن كل قبيلة.

قال عز وجل في الأنفال /الأية:30 : (وإذ يمكر بك الذين كفروا ليثبتوك أو يقتلوك أو يخرجوك، ويمكرون، ويمكر الله، والله خير الماكرين".

8. الاستعداد للهجرة وخروجه (ﷺ) (من بيته: سيرة ابن هشام 490/2)

أتى جبريل إلى النبي (ﷺ) ونبهه إلى مؤامرات القوم به ودعاه ألا يبيت في فراشه، هذه الليلة، وأن ينام في فراشه علي بن أبي طالب، وقد أخبر صديقه أبو بكر بالإذن الرباني لمصاحبته إلى الهجرة، ففرح أبو بكر الصديق فرحا شديدا بهذه الصحبة.

تقول عائشة: فوالله ماشعرت قط قبل ذلك اليوم أن أحدا يبكي من الفرح حتى رأيت أبا بكر يبكي يومئذ ثم قال: يانبي الله إن هاتين راحلتان قد أعددتهما لهذا، ثم استأجرا دليلا اسمه عبد الله بن أريقط ليدلهما على الطريق..

. ولما كانت عتمة الليل اجتمع فتيان قريش على باب بيت النبي (ﷺ) يترصدونه حتى ينام فيثبون عليه لقتله فلما رآى النبي مكانهم قال لعلي بن أبي طالب : نم في فراشي وتسجّ ببردي هذا الحضرمي الأخضر، فنم فيه، فإنه لن يخلص إليك شيء تكرهه، وأمره برد ودائع الناس التي كانت عنده لأمانته وصدقه، ولما اجتمعوا له، وفيهم أبو جهل اللعين، فقال وهو على بابه أن محمدا يزعم أنكم إن تابعتموه على أمره، كنتم ملوك العرب والعجم..

وخرج عليهم رسول الله (ﷺ) وأخذ حفنة من تراب في يده ثم قال: أنا أقول ذلك أنت أحدهم وأعمى الله بصائرهم، وسلط عليهم النعاس، وقد صور الله هذه الحالة في قوله عز وجل في سورة ياسن/الآية:8 "وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا، فأغشيناهم فهم لايبصرون، وسواء عليهم أأنذرتهم، أم لم تنذرهم لايومنون".

وعندما استيقظوا وضع كل رجل منهم يده على رأسه، فإذا عليه تراب، ثم صدموا عندما رأوا علي بن أبي طالب ببرد رسول الله، وفي فراشه.

9. الرسول وأبو بكر الصديق بغار ثور:

عندما قرر رسول الله (ﷺ) الخروج أتى أبا بكر بن أبي قحافة فخرجا من خوخة لأبي بكر في ظهر بيته، ثم عهد إلى غارثور وهو جبل بأسفل مكة فدخلاه، وأمر أبو بكر ابنه عبد الله أن يتسمع لهما ما يقول الناس فيهما نهاره، ثم يأتيهما، إذا أمسى بما يكون في هذا اليوم من خير أو شر.

أمر عامر بن فهيرة مولاه أن يرعى غنمه نهاره ثم يريحها عليهما، يأتيهما إذا أمسى في الغار، وكانت أسماء بنت أبي بكر تأتيهما بالطعام إذا أمست، بما يصلح حالهما. أقام (ﷺ) في الغار ثلاثا، ومعه أبو بكر الصديق، ويطلع النهار ويكشف الكفار نجاة محمد من قبضتهم فحددوا مكافأة سخية قدرها مائة من الإبل لمن يرده عليهم، فينطلق الطامعون إلى الجبل الذي لجأ إليه وصاحبه، والمرور على باب الغار ولايرونهما حفظا من الله لهما، فيقول أبو بكر لرسول الله (ﷺ): لو أن أحدهم نظر إلى موطئ قدميه لأبصرنا، فيجيبه رسول الله:

"ياأبا بكر ماظنك باثنين، الله ثالثهما"، فينزل القرآن واصفا ذلك كله بالدقة التامة في سورة التوبة/الآية:40 (إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار، إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن الله معنا، فأنزل الله سكينته عليه، وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى، وكلمة الله هي العليا والله عزيز حكيم".

10 هجرته إلى مدينة يثرب:

ومن الطامعين في جائزة الكفار، سراقة ابن مالك، حيث كبت به فرسه وألقته على الأرض، فقام من جديد يحاول اللحاق برسول الله (ﷺ)، فأكبت الفرس ثانية، وأدرك أنه فاشل، إذ ألقيت في روعه أن محمدا سيظهر أمره وينتصر، وطلب من محمد الأمان، وأن يكتب إليه كتابا آية بينهما، فأمر رسول الله عامر بن فهيرة فكتب له هذا الكتاب، وأعاد أدراجه وأخذ يضلل من يطارد رسول الله، فلما ظهر له أن رسول الله قد وصل يثرب جعل سراقة يقص على الناس ماجرى له مع النبي (ﷺ).

ترامى إلى مسامع يثرب نبأ هجرة النبي (ﷺ) فصاروا ينتظرون مقدمه كل صباح في مشارفها حتى إذا حميت عليهم شمس الظهيرة، قطعوا الأمل، عادوا أدراجهم.

وأمضى النبي (ﷺ) في الطريق حوالي ثمانية أيام في قيظ محرق حتى وصل إلى موضع يقال له: "قباء" على بعد ستة أميال من يثرب وكان في استقباله رهط من أنصاره بسلاحهم خوفا عليه من الأعداء ونزل النبي (ﷺ) في ضيافة بني عمرو بن عوف ومكث هناك يوم الاثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس، وأسس أول مسجد في الإسلام عرف بقباء، قال عز وجل في سورة التوبة: آية:108 :"لمسجد أسس على التقوى من أول يوم أحق أن تقوم فيه رجال يحبون أن يتطهروا والله يحب المتطهرين.."

ثم خرج من أظهرهم يوم الجمعة فأدركت رسول الله الجمعة في بني سالم بن عوف فصلاها في المسجد الذي في بطن الوادي فكانت أول جمعة صلاها (ﷺ) بالمدينة، فقامت رجال بني سالم تدعوه ليقيم عندها، قال (ﷺ): خلوا سبيلها . الناقة. فإنها مأمورة فمرت بدار بياضة، ودار بني ساعدة، ثم دار بني الحارث بن الخزرج ثم دار بني عدي من بني النجار، حتى أتت دار بني مالك بني النجار، بركت على باب مسجده (ﷺ) وهو يومئذ مربد لتجفيف الثمور لغلامين يتيمين من بني النجار، فنزل عنها رسول الله (ﷺ)، وسأل عن المربد لمن هو، فقال له معاذ بن عفراء: هو يارسول الله لسهل وسهيل ابني عمرو، وهما يتيمان لي وسأرضيهما فاتخذه مسجدا، فبنى مسجده في عين المكان، وكانت بيوته تسعة بعضها من جريد مطين بالطين، وسقفها جريد، وبعضها من حجارة مرصوصة.

11. أول خطبة جمعة لرسول الله (ﷺ): (سيرة ابن هشام 494)

الحمد لله أحمده، واستعينه، واستغفره، وأستهديه، وأومن به ولا أكفره، وأعادي من يكفره، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لاشريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أرسله بالهدى ودين الحق والنور والموعظة.

وبعد تأدية صلاة الجمعة تابع النبي (ﷺ) مسيره حتى وصل يثرب فخرج أهلها لاستقباله قائلين "الله أكبر، جاء رسول الله الله أكبر جاء محمد، وجعل النساء والصبيان ينشدون ترحيبا به:

طلع البدر علينا
من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا
مادعا لله داع
أيها المبعوث فينا
جئت بالأمر المطاع
جئت شرفت المدينة
مرحبا ياخير داع

ولما استقر رسول الله في المدينة أرسل في طلب من تخلف من أهله فجاءوه، وفي يثرب بدأ تاريخ الدعوة الإسلامية بأدوار جديدة، هي: دور الهداية، ودور التنظيم، ودور النصر ومن طوائف المدينة بعد حدث الهجرة:

1. المسلمون الذين أجابوا الدعوة وهم المهاجرون والأنصار.
2. اليهود .
3. الوثنيون الذين ظلوا على شركهم

ولجمع هذه الطوائف آخى بين المهاجرين والأنصار قائلا لهم: "تآخوا في الله أخوين، أخوين".

(يتبع)

بيان فرع رابطة علماء المغرب بخريبكة

تلبية لنداء الأمين العام لرابطة علماء المغرب الموجه إلى فروع الرابطة في شأن التضامن مع منكوبي وضحايا زلزال مدينة الحسيمة ونواحيها، اجتمع علماء فرع الرابطة بإقليم خريبكة يوم الاثنين 8 مارس 2004 حول الموضوع برئاسة رئيس الفرع العلامة محمد الحبيب الشرقاوي وبعد قرائة الفاتحة ترحما على ضحايا الزلزال تم التبرع من طرف أعضاء الفرع بمقدار نقدي حول في حينه إلى الحساب البنكي رقم 101 الذي أذن مولانا أمير المؤمنين بفتحه لهذا الغرض، مبادرا حفظه الله بمساهمته فيه من ماله الخاص . أبقى الله مولانا أمير المومنين جلالة الملك محمد السادس ذخرا لرعاياه الأوفياء وحفظه في ولي عهده الأمير مولاي الحسن وقوى جانبه بشقيقه مولاي الرشيد وكافة أسرته الشريفة وشعبه الوفي والسلام.

إمضاء : رئيس الفرع
محمد الحبيب الشرقاوي

الزمن والزمان... والاستعمال الأحول !!

-الحلقة الأخيرة-

■ **الدكتور / محمد عزيز الوكيلي**

■ إن الدهر إذن: هو (الزمن + التحولات والتغيرات) بمثل ما يكون الزمن هو (الوقت + الحركة) والزمان هو (الأزمنة والأوقات في إطلاقها + الأزمنة والأوقات في خلاصتها الثقافية على الخصوص ، والاجتماعية والاقتصادية بعد ذلك.

العصر هو الزمان في مفهومه الثاني النسبي المحدود ، مضافا إليه شواهده وظواهره وتقليعاته في الفكر والفهم وأساليب البحث والعيش.

إنه (الزمن والوقت+ الحياة وشؤونها المتعددة والمختلفة).

إننا لا نملك إذن أن نقول " عصرا " ونحن نريد بهذه المفردة زمنا معينا مكونا من مجموعة أوقات ، أو زمنا مطلقا ، أو زمنا نسبيا يحمل أشياء حميمية نحن إليها ونتحسر على ذهابها ، أو دهرا من الدهور الحبلى بالتحولات والتغييرات الكونية أو الإنسانية.

العصر إذن. هو(الزمن + الوقت + حضارة أو مخزون تراثي ، بمعنى أن هذا المخزون يتحول إلى تراث بمجرد انتهاء ذلك الزمن المعين والأوقات التي ترعى في رحابه).

الحين: إنه وقت وزمن في حالة توقف . فهو مثل صورة ملتقطة أو مشهد مرسوم على لوحة ثابتة (ميتة) لزمن ووقت كانا ماريـن فتم التقاطهما في حالة ووضع معينين! إننا عندما نقول الحين ، فإننا نشير بذلك إلى وقفات معينة مرتبطة بشيء أو أشياء هي التي دفعتنا إلى إجراء تلك الوقفات ، فالابتسامة والرضا ، المرسومان على محيا عريسين حديثين وهما في وهج احتفائهما بتلك المناسبة الفريدة ، يدفعاننا إلى وقف عجلة الزمن والوقت لضبطهما في الذاكرة أو في صورة أو لوحة ، حتى إذا ذكرناه ذلك مستقبلا ربطناه بالوقفة الزمنية والوقتية فقلنا ، ذلك الحين .

وعندما نقول ، أحيان ، فإننا نشير بها إلى وقفات مماثلة متعددة، شهدت كل منها نموذجا أو صورا عالقة بالذاكرة من أشياء وأحداث نريد تذكرها بإشارتنا إلى تلك الأحيان.

فعبارة حين من الدهر مثلا ، الواردة في القرآن الكريم ضمن الآية المنوه عنها أعلاه ، تروم الوقفة الزمنية التي أخذت فيها الفكرة النموذج عن الإنسان الذي عاش زمنا أو أزمنة وأوقات. يعلمها الله. لم يكن فيها شيئا مذكورا . إننا حين ننظر إلى حركة كونية أو طبيعية أو بشرية أو غيرها ، ثم نتذكرها لاحقا ، فإن ما نستحضره بالذاكرة ليس إلا صورة أو مشهد نموذجي من تلك الحركة ، أو مجموعة من الصور والمشاهد، ونقول نموذجية لأنها عين ما نريده للدلالة على وصفنا لتلك الحركة ولتعليل ذلك الوصف ، فإذا قلنا ، كان الجمع في عراك في ذلك الحين، فإننا نستحضر بالذاكرة لقطة واحدة من العراك أو مجموعة لقطات نموذجية تؤدي دور المعلل لذلك الوصف ، ضربة أو لكلمة أو صفعة على سبيل المثال لا الحصر ، وهذه لا تستغرق الواحدة منها سوى ، مجموعة ومضات ، يتشكل منها ، الحين ، الذي نريد تبليغه إلى المتلقي .

الحين إذن ، هو (الوقت + وقفة أو توقف أو وقفات متعددة يشكل كل منها نموذجا للدلالة على الأمر المراد الإبلاغ عنه) .

العهد: هو الزمن أو الأزمنة (الأوقات لأنها سائرة في رحاب الزمن) مضافا إليها جملة من الإضافات المرتبطة بالإنسان أساسا، فنحن قد نقول ، العصر ، الحجري ، إشارة إلى استعمال الإنسان للحجارة كشأن من شؤون الحياة لا يسعنا أن نستعمل نفس المفردة للدلالة على نمط من الفكر أو الممارسة أضافه شخص معين. فلا نقول مثلا ، عصر الملك فلان، بل نقول ، عهده ، وذاك يبين الفرق بين العهد والعصر.

إن العهد إنساني السمة والخصوصية. ويمكن لمجموعة من العهود أن تؤسس لعصر من العصور، ما دام العصر هو الزمن أو الأزمنة المتصلة بشؤون الحياة ، والعهد هو الشأن الواحد من هذه الشؤون أو المجموعة منها المرتبطة بمبتكرها وصانعها ومضيفها إلى باقي الشؤون القائمة.

العهد إذن ، هو (الزمن أو الأزمة، وفيها الأوقات + الإضافة الإنسانية المتميزة إلى شؤون الحياة من سياسة واقتصاد واجتماع وثقافة) ولذلك نقول ، عهد فلان،.

الحقبة: تستعمل للدلالة على الزمن في مساره التاريخي فحسب ، فإذا قلنا مثلا ، الحقبة الأموية، فإننا نشير بهذا التعبير إلى القدر من الزمان ، في مفهومه النسبي وليس المطلق ، أو من الأزمنة ، التي استغرقها ، عهد الأمويين ،.

الحقبة إذن ، هي جزء من التاريخ في مطيته الزمنية والوقتية ، وإن ارتبطت بأناس أو بدولة أو بعهد معين، لأنها في ارتباطها هذا لا تفقد صبغتها الزمنية والوقتية ، وإنما تكتسب مسندا إنسانيا أو فكريا أو عقديا تتعرف بواسطته على عمرها ، فالحقبة الرومانية مثلا هي الزمن أو الأزمنة المصاحبة لظهور دولة الروم العظيمة انتهاء بزوالها أو بضعفها وانغمارها ، وليست هي ، العهد ، المرتبط بأحد قياصرتها أو بأسرة معينة منهم ولا هي ، العصر ، الدال على حضارة الرومان ... (على سبيل المقارنة فحسب).

ها قد أتينا على ذكر أهم المفردات الدالة على الوقت في امتداداته المتعددة والمختلفة ، وفي ارتباطاته بشؤون وأشياء وكائنات وأسماء تتعدد أيضا وتتنوع. فما بالنا إذن ، وهذه الدلالات عربية مائة في المائة ، نرى كتابا وصحافيين وعارفين من مختلف مراتب كتابنا وإعلامييينا وأهل المعرفة فينا يستخدمون هذه الكلمات ، وهم يقولون أو يكتبون باللغة العربية ذاتها فيكيلون في ذلك بمكيال واحد ، ويقيسون بنفس المقياس حتى وهم يعلمون. كما نعلم. بأن في الأمر ما ينبغي كيله بالمد ، وفيه ما يجب وزنه بالكيلو غرام أو أصوله أو فروعه، كما فيه ما يحسن قياسه باللتر أو نحوه ، أو بالطول والعرض وغيرهما من الأبعاد ..فكأنهم (ولا أريد هنا أن أعمم ولكن الأغلبية على هذه الحال) أشبه ما يكونون بمن يحاول أن يقيس الماء والحجارة والمسافة بين النقطتين والغاز أو البخار بنفس الوسيلة المعيارية ونفس الأداة!!! فهذا قائل يقول ، الزمان الآتي ، أو ، الزمان الحديث، وهو يعني العصر القادم أو الحديث ، وذاك آخر يكتب عن ، عصر الملك الظافر، وهو يريد ، عهده، الذي كان مجرد جزء من عصر مر به ذاك الملك وعاش فيه فصنع بعض أحداثه التي يشملها العصر ذاته.... وذاك ثالث من بين العلماء يتحدث عن ، الحيز الزمني ، (L'es-pace)Temps وهو يريد الإشارة إلى «الحيز الوقتي» لأن المطلوب بأصل التعبير ما هو إلا وقت دقيق غاية الدقة مرتبط بفضاء مفترض ، وهذا من بين المصطلحات ذات الصلة بعلم مستقبلي (كان فيما مضى بعضا من ، علم الكتاب») يجعل الإنسان على بينة من فجاج الأرض بحيث يتسنى له أن يدرك وسائل طي المسافات في أوقات قياسية وجيزة كتلك التي يعبر القرآن الكريم عنها بالوقت الذي يستغرقه ، قيام سليمان من مقامه ، أو الوقت الذي يستغرقه ، ارتداد طرفه ، أو بالوقت الذي يستهلكه ، لمح البصر ، !!!

هذا فيما يتعلق ببعض الأخطاء غير المقصودة فحسب ، ولكنها ناتجة عن إهمال فظيع لتفاصيل الجسد اللغوي العربي، وإهمال أفظع لمشاعر المتلقين وللأثر الذي يقع لديهم من جراء ذلك ، فكأننا بإزاء قائل أو كاتب يريد تبليغنا بأمر فيبلغنا بأمر غيره، ويرغب في إطلاعنا على شيء فإذا به يكشف لنا عما سواه، فهو في ذلك أشبه ما يكون بذلك الذي تقول النكتة الشعبية عنه إنه أراد أن يتزوج امرأة فتزوج خالتها من فرط حوله... نسأل الله السلامة والعافية!!!

ميثاق
الرابطة
صحيفة أسبوعية جامعة
العدد 1059
السنة37
الجمعة 20 محرم 1425 هـ
الموافق 12 مارس 2004 م

المدير المسؤول:
الأمين العام بالنيابة
الشيخ ماء العينين
لارباس

مدير النشر:
إدريس كرم

رئيس التحرير:
محمد الخضر الريسوني

التحرير:
محمد القاضي
مصطفى ودادي

الثمن:3 دراهم

الاشتراكات السنوية
داخل المغرب: مائة وخمسون درهما
رقم الإيداع القانوني: 1994/160
الترقيم الدولي:ISSN: 4348

عنوان البريد الالكتروني:
rabitat @iam.net-ma
موقع الانترنيت
www.rabitat. ma

الحساب البنكي:25201015549.01
وكالة بنك الوفاء-حي أكدال - الرباط

التصفيف والإخراج الفني:
ميثاق الرابطة
العنوان:107- شارع فال ولد عمير.
رقم 7- أكدال - الرباط
الهاتف: 51 03 67 037
الفاكس: 93 45 67 037
السحب:
مطبعة نداكوم - الرباط- المغرب

ترتيب المواد لا يخضع إلا للمقتضيات الصحافية والتقنية

ميثاق الرابطة

العدد: 1059 الجمعة 20 محرم 1425 هـ . الموافق 12 مارس 2004م

ماهي مقاصد المغاربة في اختيار المذهب المالكي؟

ملخص المداخلة العلمية التي شارك بها الدكتور محمد التمسماني عضو المجلس في ندوة (المذهب المالكي والعقيدة الأشعرية) التي نظمتها وزارة الأوقاف بمدينة وجدة في 24 يونيو 2003

الحمد لله الذي فضل من شاء من عباده العلماء، على من شاء منهم بما شاء، من مزيد علم وحكمة، وجعل اختلافهم في فروع الشريعة رحمة عميمة، وتوسعة عظيمة على هذه الأمة، وخص العلماء المجتهدين بعلوم السنة والكتاب، وعمهم بالأجر مرة على الخطا ومرتين على الصواب، فضلا من الله ونعمة، ووفقهم لنشر علوم الرسالة، وعصمهم من الاجتماع على الضلالة عصمة أي عصمة.

■ يقول الإمام الشافعي رحمه الله: "أما أصول أهل المدينة فليس فيها حيلة من صحتها" وأخرج البيهقي عن يونس بن عبد الأعلى قال: "فاوضت الشافعي في شيء فقال: "والله ما أقول لك إلا نصحا، إذا وجدت أهل المدينة على شيء، فلا يدخلن قلبك أنه الحق، وكل ماجاءك وقوي كل القوة ولم تجد له أصلا بالمدينة فلا تعبأ به، ولا تلتفت إليه".

وقال الراعي تعليقا على الكلام السابق: "ولما أورد ابن الخطيب (الرازي الشافعي) هذا لم يجد بدا في مسلك الإنصاف من أن يقول: "وأقول: وهذا تصريح في تقرير مذهب مالك. رحمه الله. وإن كان الشافعي لم يذكر في كلامه مذهب مالك، وإنما شهد بالصحة لما عليه أهل المدينة، وزيف ماسواه وبهذا الوجه احتج الشافعي على محمد بن الحسن في ترجيح علم مالك على علم أبي حنيفة حين تناظرا في ذلك كما تقدم. وأثنى الإمام أحمد على أصول الإمام ومنهجه في الاستنباط، وكان يقدم حديثه ونظره ورأيه على حديث ورأي غيره. يقول الإمام ابن تيمية رحمه الله في توجيه شهادة الإمام أحمد هذه وتوضيحها: . ولم يكونوا يصنفون ذلك في كتب مصنفة إلى زمن تابع التابعين، فصنف العلم، فأول من صنف: ابن جريج شيئا في التفسير، وشيئا في الأموات، وصنف سعيد بن أبي عروبة وحماد بن سلمة ومعمر، وأمثال هولاء يصنفون ما في الباب عن النبي. صلى الله عليه وسلم. والصحابة والتابعين، وهذه هي كانت كتب الفقه والعلم والأصول والفروع بعد القرآن، فصنف مالك الموطأ على هذه الطريقة، وصنف بعده عبد الله بن المبارك، وعبد الله بن وهب ووكيع بن الجراح، وعبد الرحمن بن مهدي، وعبد الرزاق، وسعيد بن منصور، وغير هؤلاء. فهذه الكتب التي كانوا يعدونها في ذلك الزمان، هي التي أشار إليها الشافعي رحمه الله، فقال: ليس بعد القرآن كتاب أكثر صوابا من موطأ مالك، فإن حديثه أصح من حديث نظراته، وكذلك الإمام أحمد لما سئل عن حديث مالك ورأيه وحديث غيره ورأيهم، رجح حديث مالك ورأيه على حديث أولئك ورأيهم" وللإمام ابن تيمية الحنبلي إمام عصره كلام في منهجية الإمام مالك وأصوله مهم للغاية، بل إنه أفرد شهادته على صحة أصول المذهب بكتاب أسماه "صحة أصول مذهب أهل المدينة" ومما ورد فيه:

قال رحمه الله: "فتفضيل أحمد لمذهب مالك على مذهب سفيان تفضيل له على مذهب أهل العراق، وقد قال الإمام أحمد في علمه وعلم مالك بالكتاب والسنة ماتقدم، مع أن أحمد يقدم سفيان الثوري على هذه الطبقة كلها، وهو يعظم سفيان غاية التعظيم، ولكنه كان يعلم أن مذهب أهل المدينة وعلمائها أقرب إلى الكتاب والسنة من مذهب أهل الكوفة وعلمائها، وأحمد كان معتدلا عالما بالأمور، يعطي كل ذي حق حقه.

وقال رحمه الله: "ثم من تدبر أصول الإسلام وقواعد الشريعة، وجد أصول مالك وأهل المدينة أصح الأصول والقواعد".

ونجده في رسالته "المسألة الخلافية في الصلاة خلف المالكية" يحكي الاتفاق على صحة أصول الإمام وسداد نظره فيها. قال رحمه الله: "فإن مذهب الإمام الأعظم مالك بن أنس إمام دار الهجرة ودار السنة المدينة المنورة التي سننت فيها السنن، وشرعت فيها الشريعة، وخرج منها العلم والإيمان، هو: من أعظم المذاهب قدرا وأجلها مرتبة، حتى تنازعت الأمة في إجماع أهل المدينة هل هو حجة أم لا؟ ولم يختلفوا في أن إجماع أهل مدينة غيرها ليس بحجة، والصحيح أن إجماعهم في زمن الخلفاء الراشدين أبي بكر وعمر وعثمان، فإن أمير المؤمنين عليا رضي الله عنه انتقل عنها إلى الكوفة، وفيما نقلوا عن النبي صلى الله عليه وسلم كالصاع وترك صدقة الخضروات، ونحو ذلك حجة يجب اتباعها، وكذلك الصحيح: أن اجتهاد أهل المدينة في ذلك الزمن مرجح على اجتهاد غيرهم، فيرجح أحد الدليلين بموافقة عمل أهل المدينة وهذا هو مذهب الشافعي، وهو المنصوص عن الإمام أحمد، وقول محققي أصحابه...ثم نقل اتفاق الأئمة على صحة أصوله وتعظيمها وترجيحها... فقال: "ومن جاء بعده من الأئمة رحمهم الله مثل الشافعي وأحمد بن حنبل وغيرهما، فهم أشد الناس تعظيما لأصوله وقواعده، ومتابعة له فيها، وهم متفقون على أن مذاهب أهل المدينة رأيا ورواية أصح مذاهب أهل المدائن الإسلامية في ذلك الوقت.

المرجح الخامس. الحرص الشديد على اتباع السنن والآثار:

اشتهر الإمام رحمه الله تعالى بحرصه الشديد على التمسك بالحديث، وتعظيمه للسنن والآثار، ومتابعته لما عليه السلف في الأصول والفروع، في الفقه والاعتقاد، حتى عد ذلك من خصائصه ومزاياه، ومن مرجحات مذهبه. يقول الإمام ابن القصار رحمه الله: "لتعلموا أن مالكا رحمه الله كان موفقا في مذهبه، متبعا لكتاب الله وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم وإجماع الأمة.

ويقول الإمام أبو محمد الشارمساحي: "الوجه الآخر. مما يوجب ترجيح علم مالك على غيره: أن الصدر الأول من سلف هذه الأمة أقرب إلى متابعة رسول الله صلى الله عليه وسلم وأهدى إلى مأخذ الحق من غيرهم، ومذهب الإمام مالك رحمه الله مبني على متابعتهم، فيكون شبهه بهم أقوى وذلك مما يوجب الرجحان، فقد قال مالك رحمه الله: "لم يكن آخر هذه الأمة بأهدى من أولها".

ويقول الإمام أبو طاهر السلفي:

إمام الورى في الشرع بالشرق مالك
وبالغرب أيضا في جميع الممالك
فمن يك سنيا وللشرع تابعا
وللعلم طلابا عليه بمالك

المرجح السادس. التأسي بأهل المدينة:

اختص الإمام مالك بالمبالغة في التأسي بأهل المدينة واقتفاء آثارهم، وتتبع مروياتهم، والتقيد برأيهم ونظرهم واجتهادهم لم يخرج عنه بحال. وهذا أمر طبيعي "فإنه لايخفى أن المذهب المالكي نشأ في دار الهجرة: المدينة المنورة، وأن نشأته في الحقيقة إنما كانت أثرا امتداديا لأطوار سبقته في الجبلين، الماضيين اللذين بين نشأة هذا المذهب الزكي، وبين عصر النبي صلى الله عليه وسلم، ونعني بهما: جيل الفقهاء من الصحابة، ثم جيل الفقهاء من التابعين، فنشأ هذا المذهب في الجيل الثالث وهو جيل تابع التابعين، وكان إمامه فقيها متخرجا كغيره من الفقهاء، الذين أدركهم من التابعين، وهم فقهاء المدينة المشهورون، وكان هؤلاء قد تخرجوا في فقههم بفقهاء الصحابة الذين كانوا مستقرين في المدينة المنورة، وتكونت بهم البيئة الفقهية للمدينة المنورة، كما تكونت بغيرهم بيئات فقهية أخرى للأمصار الفقهية بالعراق وبالشام وبمصر وبمكة المكرمة.

وهذا الامتداد والتسلسل في الرأي والمنهج كان ملحوظا ومعلوما عند العلماء والأئمة في عصر الإمام يقول علي بن المديني رحمه الله: "وأخذ عن زيد ممن كان يتبع رأيه أحد وعشرون رجلا ثم صار علم هؤلاء إلى ثلاثة: ابن شهاب، وبكير بن عبد الله، وأبي الزناد، وصار علم هؤلاء كلهم إلى مالك بن أنس".

يقول الإمام الشافعي في مناظرته للإمام محمد بن الحسن: "وصاحبنا لم يذهب عليه القياس، ولكن كان يتحرى، ويريد التأسي بمن تقدمه.

المرجح السابع. رجحان مسلكه في الاستدلال، وتميزه فيه:

لقد فتح الإمام باب المصادر والأدلة وأكثر منها، فكان مذهبه خصبا من حيث أصول الاستنباط وأدلة الاجتهاد بل إن تعدد طرائق الرأي عنده أكثر من غيره ليجعل له القدح المعلى فيه، لدرجة أن المالكية اختلفوا في طريقة تناولها، وفي حصرها في عدد معين.

يقول الإمام القاضي عياض رحمه الله: . وأنت إذا نظرت لأول وهلة منازع هؤلاء

الحلقة الثانية

الأئمة، وتقرير مآخذ الفقه، والاجتهاد والشرع، وجدت مالكا رحمه الله تعالى ناهجا في هذه الأصول مناهجها، مرتبا لها مراتبها ومدارجها، مقدما كتاب الله، ومرتبا له على الآثار، ثم مقدما لها على القياس والاعتبار، تاركا منها لما لم يتحمله، الثقاة العارفون بما تحملوه، أو ما وجد الجمهور والجم الغفير من أهل المدينة قد عملوا بغيره وخالفوه...

ويقول الإمام ابن عبد البر في قصيدة له في التقليد:

فإذا اقتديت فبالكتاب وسنة
المبعوث بالدين الحنيف الطاهر
ثم الصحابة عند عدمك سنة
فأولاك أهل نهى وأهل بصائر
كذاك إجماع الذين يلونهم
من تابعيهم كابرا عن كابر
إجماع امتنا وقول نبينا
مثل النصوص لدى الكتاب الزاهر
وكذا المدينة حجة إن أجمعوا
متتابعين أوائلا بأواخره
وإذا الخلاف أتى فدونك فاجتهد
ومع الدليل فمل بفهم وافر
وعلى الأصول فقس فروعك لاتقس
فرعا بفرع كالجهول الخائر
والشر ما فيه. فديتك. أسوة
فانظر ولاتحفل بزلة ماهر

المرجح الثامن. سبقه في وضع الطريقة المثلى والسليمة للاستنباط:

لقد كان للإمام فضل السبق في جمع الشمل وتوضيح المنهجية السليمة، وهذا ما شهد به أئمة عصره، قال وهب رحمه الله: "الحديث مضلة إلا للعلماء، ولولا مالك والليث لضللنا وبذلك أسهم في التخفيف من تداعيات الصراع الذي وجد بين أهل الحديث وأهل الرأي، ومن معالم ذلك:

1. الجمع المتفرد بين التقيد بالنص حين يقدم ظاهر النص، وعمل أهل المدينة، والتصرف المتزن باستعمال لدى تناوله النصوص ومحاولته فهمها، بحسب أغراض وغايات الأحكام الشرعية ومقاصدها. يقول الأستاذ محمد زقلام: "كان مالك في فقهه يستنبط الحكم من نصوص الكتاب والسنة ومن آثار الصحابة والتابعين المتمثلة في فتاوى وأقضيتهم، وبما اجتمع عليه الناس في المدينة المنورة، فإن لم يجد للمسألة مايسعفه بالحكم من ذلك كله استعمل القرآن والمصلحة التي كان يعتبرها المقياس الضابط لتقرير الحكم عند إعواز النص، فما كان. إذا. فقهه أثريا بحتا، بل للرأي فيه حظ موفور، إلا أنه رأي مصقول محكم موثق موزون بموازين دقيقة، لاتحيد عن مبادئ الشريعة ومقاصدها السامية.

2. مراعاة المصلحة:

تتفق كلمة المحققين من أهل العلم على أن الإمام مالكا رحمه الله حامل راية العمل بالمصلحة المرسلة وأن مصلحي، 1. يربط الأصول الشرعية بمصالح الناس، وذلك مما يطلق يد تخريج المخرج، ويفسح المجال الواسع المستنبط المذهبي ليضع يده على كل جديد.